المغني في التَّفْسِيرِ

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحرّرُ الجَامِعُ لِتفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

مُقْتَبَسَةً مِنْ مُوسُوعَةِ التَّفْسِيرِ المَأْثُورِ

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْنُ عَبْدِهِ

د/ آلَاءِ رِضَا

غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا وَلِوَالِدَيْهِمَا وَلِمَشَايِخِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

سُورَةُ الحَاقَّةِ، سُورَةُ المعارجِ، سُورَةُ نوحٍ، سُورَةُ الجِنِّ

(المجلَّدُ الأربعونَ)

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

نسخة إلكترونية

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الحاقَّةِ

سورةُ الحاقَّةِ

سورةُ الحاقَّةِ

سُمِّيتْ هذه السُّورةُ بسُورةِ (الحاقَّة).(1)

سُورةُ (الحاقة) مكِّيَّةٌ، ونقَلَ الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المفسِّرينَ.(2)

مِن أهمِّ مقاصِدِ السُّورةِ:

1- الحديثُ عن يومِ القيامةِ، وأحوالِ النَّاسِ فيه.

2- إقامةُ الأدِلَّةِ على صِدقِ الرَّسولِ، وأنَّ هذا القرآنَ مِن عندِ اللهِ تَعالى.

---

(1) وجهُ التَّسميةِ وُقوعُ هذه الكلمةِ في أوَّلِها، ولم تقَعْ في غيرِها مِن سُوَرِ القرآنِ الكريمِ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (478/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (111/29).

(2) ممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّةَ، وابنُ الجَوزيِّ، والقُرطبيُّ، والبِقاعي.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (328/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (328/4)، ((تفسير القرطبي)) (256/18)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (115/3).

ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٨٤) أنّ هذه السورة مكية بإجماع.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- افتُتِحَت السُّورةُ بتَهويلِ شَأنِ يومِ القيامةِ، والتَّعظيمِ لأمْرِه.

2- التَّذكيرُ بما حلَّ بالأُمَمِ الَّتي كذَّبَت بالقيامةِ.

3- وصْفُ أهوالِ يومِ القيامةِ، وبيانُ حالِ السُّعداءِ ممَّن يُؤتَونَ كُتُبَهم بأيْمانِهم، وحالِ الأشقياءِ الَّذين يُؤتَون كُتبَهم بشَمائلِهم.

4- التَّنويهُ بالقرآنِ الكريمِ، وتأكيدُ نُزولِه مِن عندِ اللهِ، وصِدقِ الرَّسولِ - ﷺ - فيما يُبلِّغه عن ربِّه.

5- بَيانُ أنَّ القرآنَ تَذكِرةٌ للمؤمنِ، وحَسرةٌ على الكافرِ.

6- خُتِمَت السُّورةُ بالأمرِ بتَسبيحِ اللهِ تَعالى.

سورةُ الحاقَّةِ

الآيات (1–8)

الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (3) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا
ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ
لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَى
لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (8)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

الْحَاقَّةُ: أي: القيامةُ الصَّادِقةُ، الواجِبةُ الوُقوعِ، سُمِّيَت بذلك؛ لأنَّ فيها حواقَّ الأُمورِ. وقيل غيرُ ذلك، وأصلُ (حقق): يدُلُّ على إحكامِ الشَّيءِ وصِحَّته.

بِالْقَارِعَةِ: أي: القيامةِ الَّتي تَقرَعُ قُلوبَ العِبادِ بالمَخافةِ، وسُمِّيَت بذلك؛ لأنَّها تَقرَعُ النَّاسَ بالأهوالِ الشَّديدةِ، وأصلُ (قرع): يدُلُّ على ضَربِ الشَّيءِ.

بِالطَّاغِيَةِ: أي: بالصَّيحةِ الطَّاغيةِ الَّتي جاوَزَت مِقدارَ الصِّياحِ. والطَّاغي مِن كُلِّ شَيءٍ: ما تجاوَزَ القَدْرَ، وأصلُ (طغي): يدُلُّ على تجاوُزِ الحَدِّ.

صَرْصَرٍ: أي: شَديدةِ البَرْدِ والصَّوتِ، والصَّرصَرُ: الرِّيحُ العاصِفةُ الَّتي يكونُ لها صَرصَرةٌ، أي: دَوِيٌّ في هُبوبِها؛ مِن شِدَّةِ سُرعةِ تنقُّلِها، والتَّضعيفُ فيه للمُبالَغةِ في شِدَّتِها، والصَّرصرُ: الباردةُ تُهلِكُ بشدَّةِ بردِها، مأخوذٌ مِن الصِّرِّ: وهو البَرْدُ الَّذي يَصُرُّ، أي: يجمَعُ ويَقبِضُ.

عَاتِيَةٍ: أي: قاهِرَةٍ، بالِغةٍ مُنتهاها في القُوَّةِ والشِّدَّةِ، والعُتُوُّ: الخروجُ عن الطَّاعةِ، وأصلُ (عتو): يدُلُّ على استِكبارٍ.

سَخَّرَهَا: أي: سلَّطها وأرْسَلها، والتَّسْخيرُ: سياقةٌ إلى الغَرَضِ المختصِّ قَهرًا، أو: استِعمالُ الشَّيءِ على وجهِ الاستِعلاءِ والاقتِدارِ، وأصلُ (سخر): يدُلُّ على استِذلالٍ.

حُسُومًا: أي: تِباعًا، مُتوالِيةً، مَشائِيمَ، قاطِعةً لهم، والحُسومُ: التَّتابُعُ؛ إذا تتابَعَ الشَّيءُ فلم يَنقَطِعْ أوَّلُه عن آخِرِه، قيل له: حُسومٌ، والحَسمُ كذلك: القَطعُ بالاستِئصالِ، وأصلُ (حسم): يدُلُّ على قَطعِ الشَّيءِ عن آخِرِه.

صَرْعَى: مَوْتى، وأصلُ (صرع): يدُلُّ على سُقوطِ شَيءٍ إلى الأرضِ.

أَعْجَازُ: أي: أصولُ، وأصلُ (عجز) هنا: يدُلُّ على مُؤَخَّرِ الشَّيءِ.

خَاوِيَةٍ: أي: ساقِطةٍ، خالِيةِ الأجوافِ، وأصلُ (خوي): يدُلُّ على الخُلُوِّ والسُّقوطِ.

بَاقِيَةٍ: أي: بقاءٍ أو أثَرٍ، وأصلُ (بقي): يدُلُّ على دَوامٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

الْحَاقَّةُ (1).

أي: القيامةُ الثَّابِتةُ المَجيءِ، الصَّادِقةُ الوُقوعِ، الَّتي تَظهَرُ فيها الحقائِقُ، ويتحَقَّقُ فيها وَعدُ اللهِ تعالى ووَعيدُه.(3)

كما قال تعالى: وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ [الأنبياء: 97].

وعنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: كان النَّبيُّ – ﷺ – إذا تهجَّدَ مِنَ اللَّيلِ قال: ((اللَّهمَّ رَبَّنا لك الحَمدُ، أنت قَيِّمُ السَّمَواتِ والأرضِ، ولك الحَمدُ أنت رَبُّ السَّمَواتِ والأرضِ ومَن فيهِنَّ، ولك الحَمدُ أنت نُورُ السَّمَواتِ والأرضِ ومَن فِيهنَّ، أنت الحَقُّ، وقَولُك الحَقُّ، ووعَدُك الحَقُّ، ولِقاؤك الحَقُّ، والجنَّةُ حَقٌّ، والنَّارُ حَقٌّ، والسَّاعةُ حَقٌّ)).(4)

مَا الْحَاقَّةُ (2).

أي: أيُّ شَيءٍ تلك السَّاعةُ الحاقَّةُ، العَظيمةُ الشَّأنِ؟ وما حالُها وصِفتُها؟

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (3).

---

(3) ذكر ابن عطية (٨/ ٣٨٤) أنّ بعض المفسرين قال بأن «الحاقة» مصدر كالعافية والعاقبة، وعلّق عليه بقوله: «كأنه قال: ذات الحق».

(4) رواه البخاري (7442) واللَّفظُ له، ومسلم (769).

أي: وما الَّذي يُعَرِّفُك ما الحاقَّةُ وصِفتُها وحالُها وأهوالُها؟!

كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4).

أي: كذَّبت قَبيلةُ ثَمودَ قَومِ صالحٍ، وقبيلةُ عادٍ قَومِ هودٍ؛ بالقيامةِ، فأنكَروا بَعْثَ النَّاسِ بعْدَ مَوتِهم، وقيامَهم للحِسابِ والجَزاءِ!

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5).

أي: فأمَّا ثَمودُ فأُهلِكوا بالصَّيحةِ الطَّاغيةِ الفَظيعةِ الَّتي تجاوَزَ صَوتُها مِقدارَ كُلِّ صَوتٍ مُرتَفِعٍ، فرجَفَت منها الأرضُ والقُلوبُ، وماتوا مِن شِدَّتِها![5]

---

(5) اختُلف في المراد بالطاغية على أقوال: الأول: أنها طغيانهم وكفرهم بالله.

الثاني: الصّيحة الطّاغية.

الثالث: أنها الفئة الطاغية.

ذكره ابن عطية (٨/ ٣٨٥).

ورجّح ابنُ جرير (٢٣/ ٢٠٩) -مستندًا إلى السياق، ودلالة العقل- القول الثاني الذي قاله ابن عباس، وقتادة، والكلبي، فقال: «لأنّ الله إنما أخبر عن ثمود بالمعنى الذي أهلكها به، كما أخبر عن عادٍ بالذي أهلكها به، فقال: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾، ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذي أهلكها مِن أجله كان الخبر أيضًا عن عاد كذلك؛ إذ كان ذلك في سياق واحد، وفي إتباعه ذلك بخبره عن عاد بأنّ هلاكها كان بالريح- الدليل الواضح على أنّ إخباره عن ثمود إنما هو ما بَيّنتُ».

ورجَّحه ابنُ عطية (٨/ ٣٨٥)، وانتقد ما عداه مستندًا إلى السياق، فقال: «وأولى الأقوال وأصوبها الأول؛ لأنه منتسب لما ذكر في عاد؛ إذ ذكر فيه الوجه الذي وقع به الهلاك، وعلى سائر الأقوال لا يتناسب الأمران؛ لأنّ طغيان ثمود سبب، والريح لا يناسب ذلك؛ لأنها ليست بسبب الإهلاك، بل آلته كما في الصيحة».

وذكر ابنُ عطية أنّ الطّاغية على قول ابن زيد مصدر كالعاقبة.

وعلَّق عليه بقوله: «فكأنه تعالى قال: بطغيانهم».

كما قال تعالى: وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ * فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ [الذاريات: 43، 44].

وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6).

أي: وأمَّا عادٌ فأُهلِكوا بريحٍ عَظيمةٍ باردةٍ شَديدةِ الصَّوتِ،(6) قد تجاوَزَتْ شِدَّتُها في ذلك كُلَّ عاصِفةٍ أُخرَى، فدمَّرَتْهم تَدميرًا!

كما قال تعالى: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [فصلت: 16].

وقال الله سُبحانَه وتعالى: كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ * تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ [القمر: 18 – 21].

وذكر أنّ قوله تعالى: ﴿كذبت ثمود بطغواها﴾ [الشمس: ١٠] يقوّي هذا القول.

وذكر ابنُ كثير (١٤/ ١١١) أنّ السُّدِّيّ قال بأن الطاغية: «عاقر الناقة».

(6) قال ابنُ عطية (٨/ ٣٨٥): «والصرصر: يحتمل أنْ يكون من الصِّرّ، أي: البرد.

وهو قول قتادة.

ويحتمل أن يكون مِن: صرّ الشيء؛ إذا صوّت».

وذكر أنّ قومًا قالوا: صوت الريح صَرْصَر.

وعلَّق عليه بقوله: «كأنه يحكي هذين الحرفين».

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قال: ((نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبورِ)).[7]

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7).

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا.

أي: سلَّط اللهُ تلك الرِّياحَ العاصِفةَ على عادٍ، وأرسَلَها عليهم سَبْعَ لَيالٍ وثمانيةَ أيَّامٍ كَوامِلَ، مَشائيمَ، تتابَعَت عليهم حتَّى هَلَكوا![8]

---

(7) رواه البخاري (1035)، ومسلم (900).

(8) اختُلف في معنى قوله: ﴿حسوما﴾ على أقوال: الأول: أنها المتتابعة.

الثاني: أنها الريح التي تحسم كلّ شيء.

الثالث: مشائيم.

وعلَّق ابنُ عطية (٨/ ٣٨٦) على القول الأول الذي قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، وعكرمة، ومجاهد، وسفيان، والكلبي، والضَّحّاك، بقوله: «ومنه كما تقول العرب: ما لقيته حولًا مجرّمًا».

وعلَّق (٨/ ٣٨٧) على القول الثاني الذي قاله ابن زيد، والعَوفيّ، بقوله: «ومعناه: أنّ تلك الأيام قطّعتهم بالإهلاك، ومنه: حسْم العِلل، ومنه: الحُسام».

ورجَّح ابنُ جرير (١٤/ ٢١٤ - ٢١٥) -مستندًا إلى الإجماع- القول الأول، فقال: «لإجماع الحجة مِن أهل التأويل على ذلك».

ثم ذكر أنّ بعض أهل العربية يقول: الحُسوم: التّباع، إذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوله عن آخره قيل فيه: حُسوم.

وعلَّق عليه بقوله: «وإنما أُخذ -والله أعلم- من: حَسْم الداء؛ إذا كُوى صاحبه؛ لأنه لحم يُكوى بالمكواة، ثم يُتابع عليه».

وبيّن (١٤/ ٢١٣) أنه على القول الثاني فالحُسوم من صفة الريح.

كما قال تعالى: إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ [القمر: 19].

فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى.

أي: فترى قومَ عادٍ في تلك اللَّيالي والأيَّامِ مَطروحينَ على الأرضِ مَوتى![9]

كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ.

أي: صارت جُثثُهم بعْدَ هَلاكِهم مِثلَ جُذوعِ نَخلٍ ساقِطةٍ خالِيةِ الأجوافِ.

كما قال تعالى: تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ [القمر: 20].

فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (8).

أي: فهل ترى لكُفَّارِ عادٍ مِن بقاءٍ بعْدَ أن أبادَهم اللهُ تعالى؟

كما قال تعالى: رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ [الأحقاف: 24، 25].

(9) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٨٧) أنّ الضمير في قوله: ﴿فيها صَرْعى﴾ يحتمل احتمالين: الأول: أن يعود على دارهم وحِلّتهم؛ لأنّ معنى الكلام يقتضيها، وإن لم يُلفظ بها.

الثاني: أن يعود على الريح.

وذكر أنّ الثعلبي نَقله.

وقال سُبحانَه: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: 41، 42].

سورةُ الحاقَّةِ

الآيات (9–12)

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (9) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (10) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (12)

غَريبُ الكَلِماتِ:

وَالْمُؤْتَفِكَاتُ: أي: مَدائِنُ قَومِ لُوطٍ؛ ائتَفَكَت بهم، أي: انقَلَبَت، وأصلُ (أفك): يدُلُّ على قَلبِ الشَّيءِ، وصَرفِه عن جِهَتِه.

رَابِيَةً: أي: شديدةً، زائِدةً، عاليةً، وأصلُ (ربو): يدُلُّ على عُلُوٍّ.

طَغَى: أي: كثُر، وتَجاوَزَ في الارتفاعِ والعُلوِّ، وخرَج عن الحدِّ حتَّى علا كلَّ شَيءٍ، وارتفَع فوقَه، وأصلُ الطُّغْيانِ: مُجاوَزةُ الحدِّ.

الْجَارِيَةِ: أي: السَّفينةِ الَّتي تَجري في البَحرِ، وأصلُ (جري): يدُلُّ على انسياحِ الشَّيءِ.

وَتَعِيَهَا: أي: تَحفَظَها، والوعيُ: حِفظُ الحديثِ ونحوِه، وأصلُ (وعي): يدُلُّ على ضمِّ شَيءٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (9).

أي: وجاء فِرعَونُ مَلِكُ مِصرَ، ومَنْ كان قَبْلَه مِن الكُفَّارِ، وقَومُ لُوطٍ؛ أصحابُ القُرى الَّتي انقَلَبَت بهم، حتَّى صار عاليها سافِلَها، كلُّ هؤلاءِ قد جاؤُوا بالفَعْلةِ الخاطِئةِ مِنَ الكُفرِ والشِّركِ، والتَّكذيبِ والظُّلمِ، وما انضَمَّ إلى ذلك مِن أنواعِ الفواحِشِ والفُسوقِ؛ فأهلَكَهم اللهُ تعالى.

كما قال تعالى: وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ [الذاريات: 38 – 40].

وقال سُبحانَه: وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى [النجم: 53، 54].

القِراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ: قِبَلَهُ أي: ومَن عِندَ فِرعَونَ مِنَ الأتْباعِ مِن كُفَّارِ القِبطِ.(10)

2- قِراءةُ: قَبْلَهُ أي: ومَن تَقدَّمَه مِن الكُفَّارِ.(11)

فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (10).

فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ.

أي: فخالَفَ كلٌّ مِن فِرعَونَ ومَن قَبْلَه وقَومُ لُوطٍ: رَسولَ رَبِّهم الَّذي أرسَلَه إليهم.(12)

كما قال تعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ [ق: 12 - 14].

---

(10) قرأ بها أبو عَمرٍو، والكِسائيُّ، ويعقوبُ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (389/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 351)، ((معاني القراءات)) للأزهري (86/3)، ((تفسير ابن كثير)) (209/8).

(11) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (389/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 351)، ((معاني القراءات)) للأزهري (86/3)، ((تفسير ابن كثير)) (209/8).

(12) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٨٨) أنّ «الرسول» في قوله تعالى: ﴿فعصوا رسول ربهم﴾ يحتمل احتمالين: الأول: أن يكون اسم جنس؛ كأنه قال: فعصا هؤلاء الأقوام والفِرق أنبياء الله الذين أرسلهم إليهم.
الثاني: أن يكون الرسول بمعنى: الرسالة.

فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً.

أي: فأهلَكْنا كُلَّ أمَّةٍ مِنهم إهلاكًا شَديدًا عَظيمًا زائِدًا عن الحَدِّ؛ لزيادةِ أعمالِهم في السُّوءِ والقُبْحِ.

إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11).

أي: إنَّا لَمَّا كَثُرَ الماءُ وارتفَعَ حتَّى تجاوَزَ حَدَّه المعروفَ؛ لإغراقِ قَومِ نُوحٍ، حمَلْنا آباءَكم في سَفينةِ نوحٍ الجاريةِ على الماءِ.

كما قال تعالى: وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ [يس: 41].

لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (12).

لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً.

أي: لِنَجعَلَها لكم -أيُّها المؤمنونَ- تَذكيرًا ومَوعِظةً، فتَتَذكَّروا أنَّ اللهَ أهلَكَ الكافِرينَ، وأنجَى المؤمِنينَ، وتَستَدِلُّوا بذلك على كَمالِ قُدرةِ اللهِ وحِكمتِه، وقَهْرِه لأعدائِه، ورحمتِه بأوليائِه.(13)

كما قال تعالى: فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (119) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (120) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً [الشعراء: 119 – 121].

(13) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٨٨) أنّ الضمير في قوله: ﴿لنجعلها﴾ عائد على الفِعلة، ثم قال: «ويحتمل أن يعود على ﴿الجارية﴾».

وقال سُبحانَه وتعالى: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ [العنكبوت: 15].

وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ.

أي: تحفظَها أُذنٌ مِن شأنِها أن تَحفظَ وتَعقِلَ عن الله ما سمِعَتْ، وتَنتفِعَ به، ولا تُضيِّعَه بتَرْكِ العملِ به.(14)

كما قال تعالى: الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ [الزمر: 18].

(14) عن بُرَيْدة، قال: قال رسول الله – ﷺ – لِعلي: «إنّ الله أمرني أنْ أُدنيك، ولا أُقصيك، وأنْ أُعلِّمك، وأن تَعِيَ، وحُقّ لك أن تَعِيَ».

فنزَلت هذه الآية: ﴿وتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾.

أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٤٤٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/ ٢١٧ (٥٥٧٣)، وابن جرير ٢٣/ ٢٢٣، وابن أبي حاتم –كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٢١١ –.

قال ابن عساكر: «هذا إسناد لا يُعرف، والحديث شاذ».

وقال ابن كثير: «لا يصحّ».

وقال السيوطي في لباب النقول ص ٢٠١: «لا يصحّ».

ذكر ابن تيمية (٦/ ٣٨٥ – ٣٨٦) أنّ هذا الحديث موضوع باتفاق أهل العلم، ثم رجَّح –مستندًا إلى دلالة العقل– العموم، فقال: «ومعلوم بالاضطرار أنّ الله تعالى لم يرد بذلك أنْ لا تعِيَها إلا أُذُنٌ واعية واحدة من الآذان، ولا أُذُن شخص معين، لكن المقصود النوع فيدخل في ذلك كل أُذُن واعية».

سورةُ الحاقَّةِ

الآيات (13 – 18)

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (13) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (14)
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (15) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16) وَالْمَلَكُ عَلَى
أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ
(18)

غَريبُ الكَلِماتِ:

الصُّورِ: أي: القَرنِ الَّذي يَنفُخُ فيه إسرافيلُ.

فَدُكَّتَا: أي: فُتِّتَا وكُسِرَتا، وأصلُ (دكك): يدُلُّ على تَطامُنٍ وانسِطاحٍ.

وَاهِيَةٌ: أي: ضعيفةٌ، يُقالُ: وهَى البِناءُ يَهِي وَهْيًا فهو واهٍ: إذا ضَعُف جدًّا. ويُقالُ: كلامٌ واهٍ، أي: ضعيفٌ. أو المعنى: مُنشَقَّةٌ مُتصَدِّعةٌ، يُقال: وهَى الشَّيءُ: إذا انخرَق، والوَهْيُ: شقٌّ في الأديمِ والثَّوبِ ونحوِهما. أو المعنى: مُسترخيةٌ ساقطةُ القوَّةِ، وكلُّ شيءٍ استرخى رِباطُه فقد وَهِيَ.

أَرْجَائِهَا: أي جوانبِها ونواحيها، وأصلُ (رجو) هنا: يدُلُّ على ناحيةِ الشَّيءِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (13).

أي: فإذا نَفَخ المَلَكُ في القَرنِ الموَكَّلِ به، نفخةً واحدةً لا يُحتاجُ لحُصولِ المُرادِ منها إلى تَكَرُّرِها؛ فأمْرُ اللهِ لا يُخالَفُ ولا يُمانَعُ.(15)

عن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ – ﷺ –، فقال: ما الصُّورُ؟ قال: قَرنٌ يُنفَخُ فيه)).(16)

---

(15) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٨٩) أنّ النفخة المُشـار إليها في هذه الآية هي نفخة القيامة التي للفزع، ومعها يكون الصعق، ثم نفخة البعْث.

وذكر أنه قيل: هي نفخات ثلاثة: نفخة الفَزَع، ونفخة الصعق، ثم نفخة البعْث.

ثم رجَّح –مستندًا إلى السياق– أنها نفخة الفَزَع، فقال: «والإشارة بآيتنا هذه إلى نفخة الفَزَع؛ لأنّ حَمْل الجبال هو بعدها».

وذكر ابنُ كثير (١٤/ ١١٤) أنّ الربيع قال: هي النفخة الأخيرة.

ثم رجَّح –مستندًا إلى السياق– أنّ المراد بهذه النفخة: نفخة البعْث، فقال: «والظاهر ما قلناه؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ أي: فمُدّتْ مَدّ الأديم العكاظي، وتَبدّلت الأرض غير الأرض».

(16) أخرجه أبو داودَ (4742)، وأحمدُ (6507) باختلافٍ يسيرٍ، والترمذيُّ (2430)، والنسائيُّ (11456) واللَّفظُ لهما.

حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّح إسنادَه الحاكمُ في ((المستدرك)) (550/2)، وذكر ثبوتَه ابنُ كثير في ((تفسير القرآن)) (308/5)، وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2430).

وعن أبي سعيدٍ الخُدْريّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ الله - ﷺ -: ((كيف أنعَمُ وقد التَقَم صاحِبُ القَرنِ القَرْنَ، وحنَى جبهتَه، وأصغى سَمْعَه، ينتَظِرُ أن يُؤمَرَ أن يَنفُخَ، فيَنفُخُ. قال المسلِمونَ: فكيف نقولُ يا رَسولَ اللهِ؟ قال: قولوا: حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ، توكَّلْنا على اللهِ رَبِّنا)).(17)

وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (14).

أي: وإذا رُفِعَت الأرضُ والجِبالُ وأُزيلَتا مِن أماكنِهما، فدُقَّتا دَقَّةً واحِدةً شَديدةً حتَّى تفتَّتتا وكُسِرتا.

كما قال تعالى: كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا [الفجر: 21].

وقال الله سُبحانَه وتعالى: يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا [المزمل: 14].

وقال عزَّ وجلَّ: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا [طه: 105 - 107].

فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (15).

أي: فيومَ يُنفَخُ في الصُّورِ، وتُدَكُّ الأرضُ والجِبالُ، تَقَعُ السَّاعةُ، وتقومُ القيامةُ حينَئذٍ.(18)

(17) أخرجه الترمذيُّ (3243) واللَّفظُ له، وأحمدُ (11039).
حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّح الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (3243).
(18) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٩٠) قولًا بأنّ الواقعة: إشارة إلى صخرة بيت المقدس.
وانتقده بقوله: «وهذا ضعيف».

وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16).

أي: وتتصَدَّعُ السَّماءُ وتَنشَقُّ، فتكونُ يومَ القيامةِ مُتشَقِّقةً ضَعيفةً خَفيفةً لا تتماسَكُ.

كما قال تعالى: فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ [الرحمن: 37].

وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17).

وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا.

أي: ويكونُ الملائِكةُ على أطرافِ السَّماءِ وحافَاتِها حينَ تَنشَقُّ، خاضِعينَ للهِ، مُستَكينينَ لعَظَمتِه.[19]

كما قال تعالى: وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا [الفرقان: 25].

وقال سُبحانَه: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا [الفجر: 22].

وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ.

أي: ويَحمِلُ عَرْشَ رَبِّك فوقَ رُؤوسِهم يومَ القيامةِ ثمانيةٌ مِنَ الملائِكةِ.

---

(19) ذكر ابنُ عطية (٥/ ٣٥٩ ط: دار الكتب العلمية) أنّ جمهور المفسرين على أنّ الضمير في ﴿أرجائها﴾ عائدٌ على السماء، أي: الملائكة على نواحيها، وما لم يَهِ منها.

وذكر أنّ الضَّحّاك، وابن جُبَير قالا بأن الضمير في ﴿أرجائها﴾ عائد على الأرض.

وعلّق عليه بقوله: «وإن كان لم يتقدّم لها ذكر قريب؛ لأنّ القصة واللفظ يقتضي إفهام ذلك».

وذكر أنهما فسّرا هذه الآية بما جاء في الأثر عن الضحاك في تفسير قوله: ﴿وانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ﴾.

كما قال تعالى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا [غافر: 7].

وعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النَّبِيِّ – ﷺ – قال: ((أُذِنَ لي أن أُحدِّث عن ملَكٍ مِن ملائكةِ اللهِ مِن حَمَلةِ العَرشِ، إنَّ ما بيْنَ شَحْمةِ أذُنِه إلى عاتِقِه مَسيرةَ سبعِمئةِ عامٍ!)).

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (18).

أي: يومَ القيامةِ الَّذي تقعُ فيه جميعُ تلك الأمورِ تُعرَضُونَ –أيُّها النَّاسُ– على اللهِ تعالى؛ لِمُحاسَبتِكم دونَ أن يَخفى عليه أيُّ شَيءٍ مِنكم!

كما قال تعالى: وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ [الكهف: 47، 48].

سورةُ الحاقَّةِ

الآيات (19–24)

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ
(20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا
هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24)

غَرِيبُ الكَلِمَاتِ:

هَاؤُمُ: أي: خُذُوا أو تعالَوا.

قُطُوفُهَا: جمعُ قِطْفٍ، أي: ثَمَرُها، وأصلُ (قطف): يدُلُّ على أخذِ ثَمرةٍ مِن شَجرةٍ.

دَانِيَةٌ: أي: قريبَةُ المتناوَلِ، تُنالُ على كلِّ حالٍ مِن قيامٍ وقعودٍ واضطجاعٍ، ولا يَمنَعُ منها بُعْدٌ ولا شوكٌ، والدُّنوُّ: القُربُ بالذَّاتِ، أو بالحُكمِ، ويُستعمَلُ في المكانِ والزَّمانِ والمنزلةِ، وأصلُ (دنو): المُقارَبةُ.

هَنِيئًا: أي: لا تكديرَ عليكم، ولا تنغيصَ، والهَنيءُ: كلُّ ما لا يَلحَقُ فيه مَشَقَّةٌ، ولا يُعقِبُ وخامةً، وأصلُه في الطَّعامِ، يُقالُ: هَنِئَ الطَّعامُ فهو هَنِيءٌ، وأصلُ (هنأ): يدُلُّ على إصابةِ خَيرٍ مِن غيرِ مشقَّةٍ.

أَسْلَفْتُمْ: أي: قدَّمْتُم، والسَّلَفُ: المتقدِّمُ، وأصلُ (سلف): يدُلُّ على تَقَدُّمٍ وسَبْقٍ.

الْخَالِيَةِ: أي: الماضيةِ في الدُّنيا، وأصلُ (خلو): يدُلُّ على تعرِّي الشَّيءِ مِنَ الشَّيءِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19).

أي: فأمَّا مَن أُعطِيَ كِتابَ أعمالِه بيَدِه اليُمنى –وذلك دليلُ نَجاتِه– فإنَّه يقولُ فَرِحًا مُستَبشِرًا: خُذُوا اقرؤُوا كتابي، وانظُروا ما فيه مِن حَسَناتي![20]

كما قال تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا [الانشقاق: 7 – 9].

وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ – ﷺ – يقولُ: ((إنَّ اللهَ يُدْني المؤمِنَ، فيَضَعُ عليه كَنَفَه[21] ويَستُرُه، فيقولُ: أتَعْرِفُ ذَنْبَ كذا؟ أتعرِفُ ذَنبَ كذا؟ فيقولُ: نعم، أيْ رَبِّ! حتَّى إذا

---

(20) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٩٢) أنه اختُلف في الفرقة التي ينفذ فيها الوعيد من أهل المعاصـــي متى تأخذ كتبها، على قولين:

الأول: أنها تأخذها مع الناس، وذلك يُؤنسها مدة العذاب.

ونقل عن الحسن أنه قال: «فإذا أُعطى كتابه بيمينه لم يقرأه حتى يأذن الله تعالى له، فإذا أذِن له قال: ﴿هاؤم اقرؤا كتابيه﴾».

الثاني: أنه إذا أخرجوا من النار، والإيمان يُؤنسهم وقت العذاب.

ورجَّح ابنُ عطية القول الثاني مســـتندًا إلى الدلالة العقلية، فقال: «وهذا ظاهر هذه الآية؛ لأنّ مَن يســـير إلى النار فكيف يقول: هاؤم اقرؤوا كتابيه؟».

(21) كَنَفَه: سَتْرَه.

يُنظر: ((خلق أفعال العباد)) للبخاري (ص: 78)، ((شرح النووي على مسلم)) (87/17).

قرَّرَه بذُنوبِه، ورأى في نَفْسِه أنَّه هَلَك، قال: ستَرْتُها عليك في الدُّنيا، وأنا أغفِرُها لك اليَومَ، فيُعطَى كِتابَ حَسَناتِه)).[22]

إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20).

أي: إنِّي كُنتُ قد عَلِمتُ وأيقَنْتُ في الدُّنيا أنِّي سأُبعَثُ، وألْقَى حِسابي يومَ القيامةِ، فحرَصْتُ على القيامِ بالصَّالحاتِ؛ تأهُّبًا لذلك اليَومِ.

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21).

أي: فهو في عِيشةٍ حَسَنةٍ، شَديدُ الرِّضا بها، قد وَجَد فيها عظيمَ الثَّوابِ، والأمنَ والسَّلامةَ مِن العِقابِ.

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: ((مَن يَدخُلُ الجنَّةَ يَنْعَمُ لا يَبأَسُ، لا تَبْلى ثيابُه، ولا يَفْنى شَبابُه)).[23]

---

(22) رواه البخاري (2441) واللفظ له، ومسلم (2768).

(23) رواه مسلم (2836).

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ وأبي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: ((يُنادي مُنادٍ: إنَّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تَسْقَموا أبَدًا، وإنَّ لكم أن تحْيَوا فلا تموتوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَشِبُّوا فلا تهْرَموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَنْعَموا فلا تَبْأَسوا أبدًا)).(24)

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22).

أي: في جنَّةٍ مُرتَفِعةِ المكانِ، عاليةِ المباني والقُصورِ والأشجارِ.

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23).

أي: ثمارُ أشجارِ تلك الجنَّةِ قَريبةٌ، يَسهُلُ تَناوُلُها لِمَن يُريدُ قَطْفَها؛ فلا كُلْفةَ ولا مَشقَّةَ عليهم في أخْذِها.

كما قال تعالى: وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا [الإنسان: 14].

وقال سُبحانَه: وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ [الرحمن: 54].

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24).

أي: يُقالُ لأهلِ الجنَّةِ: كُلُوا مِن طعامِ الجنَّةِ، واشرَبوا مِن شَرابِها، مُتهَنِّئينَ في أكْلِكم وشُربِكم بالطَّيِّبِ اللَّذيذِ الَّذي لا يَصحَبُه أذًى ولا تكديرٌ ولا تنغيصٌ، وهذا الجزاءُ المقدَّمُ لكم؛ بسَبَبِ ما قدَّمْتُموه مِن الأعمالِ الصَّالحةِ في أيَّامِ الدُّنيا الماضيةِ.

---

(24) رواه مسلم (2837).

كما قال تعالى: وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ [الزخرف: 72، 73].

وقال سُبحانَه: كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [الطور: 19].

سورةُ الحاقَّةِ

الآيات (25 – 37)

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26)
يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29) خُذُوهُ
فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32)
إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ
هَاهُنَا حَمِيمٌ (35) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (36) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (37)

غَريبُ الكَلِماتِ:

فَغُلُّوهُ: أي: فشُدُّوه بالأغلالِ، واجعَلوها في عُنقِه، وقَيِّدوه، أو: اجمَعوا يدَه إلى عُنقِه بالأغلالِ، وأصلُ (غلل): يدُلُّ على تخَلُّلِ شَيءٍ وثَباتِ شَيءٍ.

صَلُّوهُ: أي: اغمُروه فيها وأورِدُوه، يُقالُ: أصلَيْتُه النَّارَ وصلَّيتُه: إذا أورَدْتَه إيَّاها، وصَلِيَ النَّارَ وصَلِيَ بها صُلِيًّا، وصِلِيًّا، وصلًى: قاسَى حرَّها وشِدَّتَها، وأصلُ الصَّلَى: الإيقادُ بالنَّارِ.

فَاسْلُكُوهُ: أي: فاجْعَلُوه فيها، وأصلُ (سلك): يدُلُّ على نُفوذِ شَيءٍ في شَيءٍ.

حَمِيمٌ: أي: قَريبٌ مُشفِقٌ، وحميمُ الرَّجُلِ: خاصَّتُه، مِنْ (حَمَّ): إذا دنا وقَرُبَ، فهو أخصُّ مِن الصَّديقِ، وأصلُ (حمم) هنا: الدُّنوُّ والحُضورُ.

غِسْلِينٍ: أي: غُسالةِ أهلِ النَّارِ مِن قَيحِهم وصَديدِهم، سُمِّيَ غِسْلينًا؛ لسَيَلانِه مِن أبدانِهم، كأنَّه يَنغَسِلُ منهم، وأصلُ (غسل): يدُلُّ على تطهيرِ الشَّيءِ وتَنقيتِه.

الْخَاطِئُونَ: أي: الآثِمونَ أصحابُ الخَطايا، وهم الكافِرون، والخاطئُ هو القاصدُ الذَّنبِ، يُقالُ: خَطِئَ الرَّجُلُ: إذا تعمَّدَ الذَّنبَ، وأخطَأَ: إذا لم يَتعمَّدْ، وقيل غيرُ ذلك. وأصلُه يدُلُّ على تَعَدِّي الشَّيءِ، والذَّهابِ عنه.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25).

أي: وأمَّا مَن أُعطِيَ كِتابَ أعمالِه بيَدِه الشِّمالِ، فإنَّه يَقولُ نادِمًا مُتحَسِّرًا: يا ليتَني لم أُعْطَ كتابَ أعمالِي السَّيِّئةِ!

وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26).

أي: ولم أعلَمْ ما حِسابي؟!

يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27).

أي: يا ليتَ مَوْتَتي في الدُّنيا كانت نهايةَ حَياتي، ولم أُبعَثْ للحِسابِ والجَزاءِ!

مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28).

أي: لم يَدفَعْ عنِّي مالي الَّذي جمَعْتُه في الدُّنيا شيئًا مِن عذابِ الآخِرةِ!

كما قال تعالى: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ [الشعراء: 88].

وقال سُبحانَه: وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى [الليل: 11].

هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29).

أي: زال عنِّي مُلْكي وجاهي، وذهَبَتْ حُجَّتي![25]

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30).

أي: يقولُ اللهُ تعالى لمَلائكتِه: خُذُوا هذا الكافِرَ فضَعُوا القَيدَ في عُنُقِه.

كما قال الله سبحانه وتعالى: إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا [الإنسان: 4].

ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31).

أي: ثمَّ اغمِسُوه واغْمُروه في النَّارِ.

ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32).

أي: ثمَّ اجعَلوه في سِلْسلةٍ طُولُها سَبعونَ ذِراعًا،[26] فيتعَذَّبُ بها!

---

(25) اختُلف في المراد بـ «السلطان» على قولين: الأول: أنه الحُجّة.

الثاني: أنه الملْك.

وساق ابنُ عطية (٨/ ٣٩٣) القولين، ثم رجّحالثاني –مستندًا للسنّة– بقوله: «والظاهر عندي أنّ سلطان كلّ أحد حاله في الدنيا من عَدَد وعُدد، ومنه قول النبي – ﷺ –: «لا يُؤمّنّ الرجل في سلطانه، ولا يُجلس على تَكرِمته إلا بإذنه»».

(26) ذكر ابن عطية (٨/ ٣٩٤) قولًا بأن الذراع هنا هي الذراع المعروفة، وأننا إنما خوطبنا بما نعرفه ونحصله، ونسبه لحذّاق من المفسرين.

كما قال تعالى: إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ [غافر: 71، 72].

إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33).

أي: استَحَقَّ هذا الكافِرُ ذلك العذابَ الشَّديدَ؛ لأنَّه كان في الدُّنيا لا يُؤمِنُ باللهِ ذي العَظَمةِ التَّامَّةِ الكامِلةِ.

وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34).

أي: ولأنَّه كان لا يَحُثُّ غَيرَه على إطعامِ المحتاجِينَ.

كما حكى اللهُ تعالى سؤالَ أصحابِ اليَمينِ للمُجرِمينَ: مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ [المدثر: 42 – 44].

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (35).

أي: فليس لهذا الكافِرِ في هذا اليَومِ في الدَّارِ الآخِرةِ أيُّ قَريبٍ يَنفَعُه، فيَدفَعُ عَذابَ اللهِ عنه![27]

كما قال تعالى: مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ [غافر: 18].

---

(27) نسب ابنُ عطية (٨/ ٣٩٥) هذا القول لجمهور المفسرين، ثم قال: «فنفى الله تعالى أن يكون للكافر هنالك مَن يواليه».
ثم نقل عن محمد بن المستنير القول بأنّ «الحميم»: الماء السّخن.
وعلّق بقوله: «فكأنه تعالى أخبر أنّ الكافر ليس له ماء، ولا شيء مائع».

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (36).

أي: وليس لهذا الكافِرِ طَعَامٌ إلَّا مِن صَديدِ أهلِ النَّارِ.[28]

لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (37).

أي: لا يأكُلُ هذا الطَّعامَ إلَّا الواقِعونَ في الخَطايا عَمْدًا، مِنَ الكافِرينَ باللهِ تعالى والمُشرِكينَ به.

---

(28) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٩٥) أنّ بعض المفسرين قال: الغِسلين: هو شيء يجري من ضريع؛ لأن الله تعالى قد أخبر أنهم ليس لهم طعام إلا من ضــريع، وفي أخرى إلا من غِســلين، فهما شــيء واحد، أو اثنان مُتداخلان، ثم قال: «ويحتمل أن يكون الإخبار هنا عن طائفة وهناك عن طائفة، ويكون الغِسلين والضّريع مُتباينين، على ما يُفهم منهما في لسان العرب».

سورةُ الحاقَّةِ

الآيات (38–52)

فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ
بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (42) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ (43) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا
مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (48) وَإِنَّا
لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (49) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (50) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (51)
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (52)

غَريبُ الكَلِماتِ:

كَاهِنٍ: الكاهِنُ: الَّذي يتعاطى الخَبَرَ عمَّا يكونُ في مُستَقبَلِ الزَّمانِ بضَربٍ مِنَ الظَّنّ، ويدَّعي مَعرِفةَ الأسرارِ.

الْوَتِينَ: أي: نِياطَ القَلبِ، وهو عِرقٌ يجري في الظَّهرِ حتَّى يتَّصِلَ بالقَلبِ، فإذا انقَطَع بطَلَت القُوى، ومات صاحِبُه، وأصلُ (وتن): يدُلُّ على ثباتٍ ومُلازَمةٍ.

لَحَسْرَةٌ: الحَسْرةُ هي أشدُّ النَّدامةِ على ما فاتَ ولا يُمكِنُ ارتجاعُه؛ والغمُّ عليه، وأصلُ (حسر): كَشْفُ الشَّيءِ؛ ومِنه الحَسرةُ، وهي انكشافٌ عن حالِ النَّدامةِ.

الْيَقِينِ: أي: الخَبَرِ الصِّدقِ الحَقِّ الَّذي لا مِرْيةَ فيه ولا شَكَّ، وأصلُ (وقن): يدُلُّ على زَوالِ الشَّكِّ.

تَفسيرُ الآياتِ:

فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38).

أي: فلا أُقسِمُ بجَميعِ ما تَرَونَه وتُشاهِدونَه -أيُّها النَّاسُ- من الأشياءِ كُلِّها؛ كَبيرِها وصَغيرِها.

وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39).

أي: وجَميعِ ما لا تَرَونَه وما غاب عنكم.

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40).

أي: إنَّ هذا القُرآنَ لَقولُ رَسولٍ كَريمٍ، وهو محمَّدٌ - ﷺ - (29) يَتلوه على عبادِ اللهِ، ويُبَلِّغُهم إيَّاه.

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (41).

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ.

أي: وما هذا القُرآنُ بكَلامِ شاعرٍ كما يَزعُمُ كُفَّارُ قُرَيشٍ!

كما قال تعالى: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ [يس: 69].

---

(29) رجَّح ابنُ تيمية (٦/ ٣٩١ - ٣٩٢) -مستندًا إلى السياق- أنّ «الرسول» هو محمد - ﷺ -، فقال: «فهذا محمد كما يدلّ عليه الكلام كلّه، وهذا قول عامة العلماء».

وقال سُبحانَه: وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ * بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ [الصافات: 36، 37].

قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ.

أي: يقولُ اللهُ لِمُشرِكي قُرَيشٍ: قليلٌ هو إيمانُكم بما وجَبَ عليكم الإيمانُ به.

كما قال تعالى: فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا [النساء: 46].

وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (42).

وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ.

أي: وما هذا القُرآنُ بكَلامِ كاهنٍ كاذِبٍ يدَّعِي عِلمَ الغَيبِ كما يَزعُمُه الكُفَّارُ!

كما قال تعالى: فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ [الطور: 29].

قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ.

أي: يَقولُ اللهُ تعالى لكُفَّارِ قُرَيشٍ: قليلًا ما تتذَكَّرونَ، فتعتَبِرونَ وتتَّعِظونَ.(30)

---

(30) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٩٧) أنّ ﴿ما﴾ في قوله: ﴿قليلا ما تؤمنون﴾ يحتمل أن تكون نافية فينتفي إيمانهم البتة، ويحتمل أن تكون مصدرية ويتصف بالقلة إمّا الإيمان وإمّا العدد الذي يؤمنون، ثم قال: «فعلى اتصاف إيمانهم بالقلّة فهو الإيمان اللغوي؛ لأنهم قد صَدّقوا بأشياء يسيرة لا تُغني عنهم شيئًا؛ إذ كانوا يُصدِّقون أنّ الخير والصلة والعفاف الذي كان يأمر به رسول الله – ﷺ – هو حقٌّ صواب».

كما قال تعالى: قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ [غافر: 58].

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (43).

أي: هذا القُرآنُ تنزيلٌ مِن عِندِ اللهِ رَبِّ العالَمينَ على عَبدِه ورَسولِه محمَّدٍ، فهو كلامُ اللهِ حقًّا، وليس قَولَ شاعرٍ ولا قَولَ كاهِنٍ، كما يَزعُمُ المُشرِكونَ!

كما قال تعالى: تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ [السجدة: 2].

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44).

أي: ولو ادَّعى محمَّدٌ على اللهِ تعالى بعضَ الأقاويلِ الكاذِبةِ، فنَسَب إليه شيئًا لم يَقُلْه.

لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45).

أي: لَعاجَلْناه بالعقوبةِ، وانتقَمْنا منه بقوَّتِنا وقُدرتِنا![31]

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46).

أي: ثمَّ لقَطَعْنا مِن محمَّدٍ عِرقَ قَلْبِه، فأمَتْناه!

---

(31) قال ابنُ عطية (٨/ ٣٩٧): «ومعناه: لَنِلنا منه عقابه بقوة منا، أو يكون المعنى: لنَزعنا قوته».
ثم ذكر قولًا آخر وهو أنها عبارة عن الهوان، كما يقال لمن يُسجن أو يقام لعقوبة: قد أُخذ بيده وبيمينه.
وبنحوه قال ابنُ القيم (٣/ ١٩٢).

فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47).

أي: فلا أحَدَ منكم –أيُّها النَّاسُ– بقادِرٍ على مَنْعِ اللهِ تعالى مِن عُقوبةِ محمَّدٍ إن كَذَب على ربِّه!

كما قال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا [الأحقاف: 8].

وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (48).

أي: وإنَّ القُرآنَ[32] مُذَكِّرٌ للمُتَّقينَ الَّذين يمتَثِلونَ أوامِرَ اللهِ تعالى، ويجتَنِبونَ نواهيَه، فيَعتَبِرون به ويتَّعِظونَ.

كما قال تعالى: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ [البقرة: 2].

وقال سُبحانَه: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ [ص: 29].

وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (49).

أي: وإنَّا لَنعلَمُ أنَّ مِنكم مُكَذِّبينَ بهذا القُرآنِ معَ وُضوحِ الحَقِّ فيه، وسنُجازيهم على تَكذيبِهم!

كما قال تعالى: وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ [الأنعام: 66].

(32) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٩٨) أنّ الضـــمير في قوله: ﴿وإنه لتذكرة﴾ قيل بعوْده على القرآن، وقيل بعوْده على النبي محمد – ﷺ –.

وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (50).

أي: وإنَّ القُرآنَ[33] لحَسْرةٌ على الكافِرينَ، فيَندَمونَ على ترْكِ الإيمانِ به!

كما قال تعالى: وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ [الزمر: 55، 56].

وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (51).

أي: وإنَّ القُرآنَ لَهُو الحَقُّ الثَّابِتُ المؤكَّدُ الَّذي لا شَكَّ فيه، ولا في نُزولِه مِن عِندِ اللهِ تعالى.

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (52).

أي: فنَزِّهْ ربَّك المتَّصِفَ بكَمالِ العَظَمةِ -يا محمَّدُ- عن كُلِّ نَقصٍ وعَيبٍ، قائِلًا: سُبحانَ رَبِّيَ العَظيمِ.

---

(33) قال ابنُ كثير (١٤/ ١٢٣) احتمالًا بعوْد الضمير على القرآن، أي: وإنّ القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين.

ثم قال: «كما قال: ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به﴾ [الشعراء: ٢٠٠ - ٢٠١]».

تَفْسِيرُ
سُورَةِ المعارجِ

سورةُ المعارجِ

سورةُ المعارجِ

سُمِّيت هذه السُّورةُ بسُورةِ: (المعارِج).[34]

سُورةُ المعارِجِ مكِّيَّةٌ؛ نقَلَ الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المفسِّرينَ.[35]

---

(34) لم يَرِدْ فيها نصٌّ صريحٌ، لكن اشتَهَرت في كُتب التَّفسيرِ والمصاحفِ تَسميتُها بسُورة (المعارج).

وسُمِّيَتْ بـ (المعارج)؛ لوُقوعِ هذه الكلمةِ في أوَّلها.

وتُسمَّى أيضًا سورةَ سَأَلَ سَائِلٌ؛ لمفتتحِها، وسورةَ (الواقع)؛ لقولِه: بِعَذَابٍ وَاقِعٍ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/480)، ((تفسير ابن عاشور)) (29/152).

(35) ممَّن نقَلَ الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّة، وابن الجوزيِّ، والقرطبيُّ، والبِقاعي.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (5/336)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/335)، ((تفسير القرطبي)) (18/278)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (3/118).

ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٩٩): «أنّ هذه السورة مكّيّة بلا خلاف بين الرواة».

وبنحوه قال ابنُ تيمية (٦/ ٣٩٤).

مِن أَهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ:

التَّذكيرُ بيَومِ القِيامةِ وشَدائدِه، وما فيه مِن حِسابٍ وجَزاءٍ، وثَوابٍ وعِقابٍ.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- بَيانُ جُرأةِ الكافرِ في استِعجالِ العذابِ، وتَهديدُ الكافِرينَ بعَذابِ يومِ القِيامةِ.

2- التَّأكيدُ على أنَّ يومَ القيامةِ حقٌّ، وأنَّه واقعٌ، وذِكرُ شَيءٍ مِن أهوالِه الشَّديدةِ.

3- ذِكرُ جَهنَّمَ وأسبابِ استِحقاقِ عَذابِها، ومُقابَلةُ ذلك بأعمالِ المؤمنينَ الَّتي أدَّت بهم إلى الجنَّةِ.

4- تَوبيخُ الكافِرينَ، وبَيانُ ذُلِّهم في يومِ القيامةِ.

5- تَثبيتُ النَّبيِّ - ﷺ -، وتَسليتُه على ما يَلْقاهُ مِن المشرِكينَ.

سورةُ المعارِجِ

الآيات (1–7)

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (1) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (2) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (3) تَعْرُجُ
الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (5)
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (6) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (7)

غريب الكلمات:

الْمَعَارِجِ: أي: الدَّرجاتِ، أو المصاعِدِ؛ لأنَّ العُرُوجَ: ذَهابٌ في صُعودٍ، أو السَّمَواتِ؛ لأنَّ الملائِكةَ تَعرُجُ فيها، وأصلُ (عرج): يدُلُّ على سُمُوٍّ وارتقاءٍ.

تفسير الآيات:

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (1).

أي: دعا داعٍ[36] مِنَ الكُفَّارِ بعَذابِ اللهِ مُتعَجِّلًا له، وهو واقِعٌ بالكُفَّارِ لا مَحالةَ![37]

(36) اختُلف في المراد بقوله: ﴿سأل سائل﴾ على قولين: الأول: أنه من السؤال، ومَن قال بهذا قرأ قوله: ﴿سأل سائل﴾ بالهمز.

الثاني: أنه وادٍ في جهنم يقال له: سائل، ومَن قال بهذا قرأ: «سالَ سائِلٌ» بدون همز، ووجّهه إلى أنه فعْل من السّيل.

ورجّح ابنُ جرير (٢٣/ ٢٤٨) -مستندًا إلى إجماع القراء، والسلف من أهل التأويل- قراءة الهمز، والقول الأول الذي قاله ابن عباس من طريق العَوفيّ، ومجاهد، والحسن، وعطاء، وقتادة، ومقاتل، وذلك: «لإجماع الحُجّة مِن القراء على ذلك، وأنّ عامة أهل التأويل من السلف بمعنى الهمز تأولوه».

ورجَّحه ابنُ كثير (١٤/ ١٢٥) مستندًا إلى السياق، فقال: «والصحيح الأول؛ لدلالة السياق عليه».

وانتقد القول الثاني الذي قاله زيد بن ثابت، وابن زيد، فقال: «وهذا القول ضعيف، بعيد عن المراد».

وساق ابنُ عطية (٨/ ٤٠١) القول الثاني، ثم علَّق بقوله: «ويحتمل -إن لم يصح أمر الوادي- أن يكون الإخبار عن نفوذ القَدَر بذلك العذاب، فاستُعير له لفظ السّيل؛ لِما عُهد من نفوذ السّيل وتصميمه».

واختَلَف مَن قرأ بالهمز في المعنى المراد على قولين: الأول: أنّ المعنى: دعا داعٍ.

الثاني: استفهم مُستفهم.

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٩٩) أنّ على القول الأول الذي قاله مجاهد فالباء في قوله: ﴿بعذاب﴾ على عُرفها.

وأنه على القول الثاني الذي قاله الحسن، وقتادة، فالباء تُوصّل توصيل «عن»، كأنه تعالى قال: «عن عذاب».

(37) قوله: سَأَلَ اختُلِف فيه على قولَين: أحدُهما: أن يكونَ السُّؤالُ بمعنَى الدُّعاءِ، أي: دعا داعٍ بعذابٍ واقِعٍ.

والآخَرُ: أن يكونَ السُّؤالُ بمعنَى الاستِخبارِ، أي: سألَ سائلٌ عن عذابٍ واقعٍ، والباءُ على هذا بمعنَى (عن).

يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (409/2).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير الماوردي)) (89/6)، ((تفسير السمعاني)) (44/6).

ممَّن اختار القولَ الأوَّلَ: الزَّجَّاجُ، والسمرقنديُّ، والواحدي، والزمخشري، والبيضاوي، وجلال الدين المحلي، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي، والسعدي.

يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (219/5)، ((تفسير السمرقندي)) (494/3)، ((الوسيط)) للواحدي (350/4)، ((تفسير الزمخشري)) (608/4)، ((تفسير البيضاوي)) (244/5)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 764)، ((تفسير أبي السعود)) (29/9)، ((تفسير الشوكاني)) (344/5)، ((تفسير الألوسي)) (62/15)، ((تفسير السعدي)) (ص: 885).

قال ابن جُزَي: (وقد تكونُ الإشارةُ إلى قولِ الكفَّارِ: «أَمْطِرْ علينا حِجارةً مِن السَّماءِ»، وكان الَّذي قالها النَّضرُ بنُ الحارثِ).

((تفسير ابن جزي)) (409/2).

وقال ابن الجوزي: (قال المفسِّرون: نزلت في النَّضرِ بنِ الحارثِ حينَ قال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ [الأنفال: 32]، وهذا مذهبُ الجمهورِ؛ منهم ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهِدٌ.

وقال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: هو أبو جهلٍ).

((تفسير ابن الجوزي)) (335/4).

وممَّن اختار القولَ الثَّانيَ أي أنَّ السُّؤالَ بمعنى الاستخبارِ: ابنُ جرير، والعُلَيمي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (248/23)، ((تفسير العليمي)) (154/7).

قال ابن جُزَي: (وتكونُ الإشارةُ إلى قولِه: مَتَى هَذَا الْوَعْدُ، وغيرِ ذلك).

((تفسير ابن جزي)) (409/2).

وقال ابن كثير: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ فيه تضمينٌ دلَّ عليه حرفُ الباءِ، كأنَّه مقدَّر: يستعجِلُ سائلٌ بعذابٍ واقعٍ، كقولِه: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ [الحج: 47]، أي: وعذابُه واقعٌ لا مَحالةَ).

((تفسير ابن كثير)) (220/8).

وقال الرازي: (قال بعضُهم: هذا السَّائلُ هو رسولُ الله، استعجَل بعذابِ الكافِرين، فبَيَّن اللهُ أنَّ هذا العذابَ واقعٌ بهم، فلا دافِعَ له.

قالوا: والَّذي يدُلُّ على صحَّةِ هذا التَّأويلِ قولُه تعالى في آخِرِ الآيةِ: فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا [المعارج: 5] ، وهذا يدُلُّ على أنَّ ذلك السَّائلَ هو الَّذي أمَرَه بالصَّبرِ الجميلِ).

((تفسير الرازي)) (637/30).

وقال ابن عاشور: (كان كفَّارُ قُرَيشٍ يستَهزِئون فيَسألونَ النَّبيَّ - ﷺ -: متى هذا العذابُ الَّذي تَتوعَّدُنا به؟ ويَسألونَه تعجيلَه؛ قال تعالى: وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [يونس: 48]، وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ [الحج: 47]، وكانوا أيضًا يَسألونَ اللهَ أن يوقِعَ عليهم عذابًا إن كان القرآنُ حقًّا مِن عندِه؛ قال تعالى: وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [الأنفال: 32].

وقيل: إنَّ السَّائلَ شخصٌ معيَّنٌ، هو النَّضرُ بنُ الحارثِ، قال: إِنْ كَانَ هَذَا أي: القرآنُ هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [الأنفال: 32].

وكان النَّبيُّ - ﷺ - يسألُ اللهَ أن يُعِينَه على المشركينَ بالقَحطِ، فأشارت الآيةُ إلى ذلك كلِّه، ولذلك فالمرادُ بـ سَائِلٌ فريقٌ أو شخصٌ).

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ: سَالَ بالألِفِ مِن غيرِ هَمزٍ، قيل: هو مِن السَّيَلانِ، على معنى: جرى وادٍ في جهنَّمَ بعَذابٍ واقِعٍ، وقيل: (سَالَ) بمعنى (سَأَلَ)، تُرِكت الهَمزةُ تخفيفًا، فتكونُ القِراءتانِ بمعنًى واحدٍ.(38)

2- قِراءةُ: سَأَلَ بهمزةٍ مَفتوحةٍ؛ مِنَ السُّؤالِ، على معنى: دعا داعٍ بعَذابٍ واقِعٍ، أي: طَلَبه. وقيل: المعنى: سأل سائِلٌ عن عذابٍ واقِعٍ.(39)

لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (2).

أي: ليس للعَذابِ الواقِعِ على الكافِرينَ أيُّ دافِعٍ يَدفَعُه عنهم.

كما قال تعالى: فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ [الملك: 28].

مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (3).

((تفسير ابن عاشور)) (153/29).

(38) قال الأزهري: (وجائزٌ أن يكونَ سَالَ غيرَ مهموزٍ، ويكونَ بمعنى «سأل»، فخُفِّفَ همزُه.
وهو أحَبُّ إلَيَّ من قَولِ مَن ذهب به إلى سَيْلِ الوادي؛ لتتَّفِقَ القِراءتانِ).
((معاني القراءات)) (88/3).

(39) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (390/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 352)، ((معاني القراءات)) للأزهري (88/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 721).

أي: وهذا العذابُ واقعٌ مِنَ اللهِ ذي العلُوِّ والدَّرجاتِ والفواضِلِ والنِّعَمِ، فلا يمكِنُ لأحَدٍ دَفْعُه.

كما قال تعالى: رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ [غافر: 15].

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4).

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ.

أي: تَصعَدُ الملائِكةُ وجِبريلُ(40) عليهم السَّلامُ إليه سُبحانَه وتعالى.

كما قال الله تبارك وتعالى: وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ [الشعراء: 192، 193].

وقال سبحانه: تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ [القدر: 4].

---

(40) قال ابنُ عطية (٨/ ٤٠٢): «من جعل ﴿الروح﴾ جبريل أو نوعًا مِن الملائكة قال: المسافة هي مِن قَعْر الأرض السابعة إلى العرش.

قاله مجاهد.

ومَن جعل ﴿الروح﴾ جنس الحيوان قال: المسافة من وجه هذه الأرض إلى مُنتهى العرش عُلوًّا.

قاله وهْب بن مُنَبِّه».

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

أي: في يومٍ واحدٍ قَدْرُه خمسونَ ألْفَ سَنةٍ![41]

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: ((ما مِن صاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي مِنها حَقَّها إلَّا إذا كان يومُ القيامةِ صُفِّحَت له صفائحُ[42] مِن نارٍ، فأُحمِيَ عليها في نارِ جهنَّمَ، فيُكوى بها جَنْبُه وجَبينُه وظَهرُه، كُلَّما بَرُدَت أُعيدَت له في يومٍ كان مِقدارُه خَمسينَ ألْفَ سَنةٍ، حتَّى يُقضَى بيْن العِبادِ، فيَرى سَبيلَه؛ إمَّا إلى الجنَّةِ، وإمَّا إلى النَّارِ)).[43]

---

(41) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٠٢) أنه على هذا فاليوم المشار إليه يوم القيامة، والقدْر في الهول والشدّة.

ثم قال: «وهذا كما تقول في اليوم العصيب: إنه كسَنَة، ونحو هذا».

اختُلف في المراد بقوله: ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ على أقوال: الأول: أنّ المراد بذلك: يوم القيامة.

الثاني: مدة بقاء الدنيا.

الثالث: الحساب.

وساق ابنُ عطية (٨/ ٤٠٢ - ٤٠٣) الأقوال، ثم علّق بقوله: «والعامل في قوله تعالى: ﴿يوم﴾ -على قول مَن قال: إنه يوم القيامة- قوله: ﴿دافع﴾، وعلى سائر الأقوال: ﴿تعرج﴾».

وذكر ابنُ كثير (١٤/ ١٢٧) أنّ القول الأول وردت فيه أحاديث، وساق الحديث الوارد عن أبي سعيد في تفسير الآية، والوارد عن أبي هريرة في الآثار المتعلقة بالآية.

وذكر قولًا آخر وهو أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة.

ونسبه لمحمد بن كعب، وعلّق عليه بقوله: «وهو قول غريب جدًّا».

(42) صُفِّحَت له صفائحُ: أي: جُعِلَت لِصاحِبِها (صَفائحَ)، أي: كأمثالِ الألواحِ، جمْع صَفيحةٍ، وهي ما طُبِعَ عَريضًا.

يُنظر: ((مرعاة المفاتيح)) للمباركفوري (6/9).

(43) رواه مسلم (987).

فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (5).

أي: فاصبِرْ -يا محمَّدُ- على تكذيبِ المُشركِينَ بك، وأذاهم لك، صَبرًا جميلًا لا جَزَعَ فيه ولا شِكايةَ، ولا قِلَّةَ رِضًا ولا تعجُّلَ؛(44) فلا تَستعجِلْ عَذابَهم والنَّصرَ عليهم، وتحمَّلْ مَشاقَّ دَعوتِهم إلى اللهِ بلا ضَجَرٍ ولا مَلَلٍ!

إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (6).

أي: إنَّ الكافِرينَ يَرَونَ عَذابَ الآخِرةِ غيرَ كائنٍ وُقوعُه؛ لعَدَمِ إيمانِهم بالبَعثِ بعدَ الموتِ.

وَنَرَاهُ قَرِيبًا (7).

أي: ونحن نَرى العذابَ النَّازِلَ بهم قريبَ الوُقوعِ؛ لأنَّ ما أخبَرَ اللهُ بوُقوعِه فهو آتٍ لا محالةَ، وكلُّ آتٍ قَريبٌ.

---

(44) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- في قوله: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾، قال:... نُسِخ هذا.

أخرجه ابن جرير ٢٣/ ٢٥٥، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٧٤٩ - ٧٥٠).

انتقد ابنُ جرير (٢٣/ ٢٥٥) قول ابن زيد مستندًا إلى عدم الدليل، فقال: «وهذا الذي قاله ابن زيد أنه كان أُمِر بالعفو بهذه الآية، ثم نُسِخ ذلك، قول لا وجه له؛ لأنه لا دلالة على صحة ما قال مِن بعض الأوجه التي تَصحّ منها الدعاوي، وليس في أمْر الله نبيّه - ﷺ - في الصبر الجميل على أذى المشركين ما يوجب أن يكون ذلك أمرًا منه له به في بعض الأحوال، بل كان ذلك أمرًا مِن الله له به في كل الأحوال؛ لأنّه لم يزل - ﷺ - من لدن بَعثه الله إلى أن اخترَمه في أذًى منهم، وهو في كلّ ذلك صابر على ما يَلقى منهم مِن أذى قبل أن يأذن الله له بحربهم، وبعد إذنه له بذلك».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٠٣) أنّ الأمْر بالصبر الجميل محكم في كل حالة.

كما قال تعالى: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [الحج: 47].

سورةُ المعارجِ

الآيات (8 – 18)

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (8) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (9) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (10)
يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (12)
وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (14) كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (15) نَزَّاعَةً
لِلشَّوَى (16) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (17) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (18)

غريب الكلمات:

كَالْمُهْلِ: المُهلُ: نَوعٌ مِن القَطِرانِ شَبيهٌ بعَكَرِ الزَّيتِ قد انتهى حَرُّه، وما أُذيبَ مِن الذَّهَبِ والفِضَّةِ والنُّحاسِ والرَّصاصِ، وأصلُ (مهل): يدُلُّ على جِنسٍ مِن الذَّائباتِ.

كَالْعِهْنِ: أي: الصُّوفِ المصبوغِ، وأصلُ (عهن): يدُلُّ على لِينٍ وسُهولةٍ.

حَمِيمٌ: أي: قَريبٌ مُشفِقٌ، وحميمُ الرَّجُلِ: خاصَّتُه، مِنْ (حَمَّ): إذا دنا وقَرُبَ، فهو أخصُّ مِن الصَّديقِ.

يُبَصَّرُونَهُمْ: أي: يُعَرَّفونَهم، أي يُعرَّفُ الحميمُ حميمَه حتَّى يعرِفَه، يُقالُ: بصَّرْتُ زيدًا بكذا، وبصَّرتُه كذا: إذا عرَّفْتَه إياه، وأصلُ (بصر) هنا: العلمُ بالشَّيءِ.

وَفَصِيلَتِهِ: أي: عَشيرتِه وأقارِبِه، وفَصيلةُ الرَّجُلِ: رَهْطُه الأدْنَوْنَ، والفَصيلةُ أقرَبُ وأخَصُّ في النَّسَبِ مِنَ القَبيلةِ، والفَصيلةُ: القِطْعةُ مِن أعضاءِ الجَسَدِ، وسُمِّيتْ عشيرةُ الرَّجُلِ فَصيلةً؛ تَشبيهًا بالبَعضِ منه، وأصلُ (فصل): يدُلُّ على تمييزِ الشَّيءِ مِنَ الشَّيءِ، وإبانتِه عنه.

لَظَى: هي اسمٌ مِن أسماءِ جهنَّمَ، عَلَمٌ مَنقولٌ مِن اسمِ اللَّهبِ، لا تَنصرِفُ؛ فلذلك لا تُنَوَّنُ، واللَّظى: اللَّهَبُ الخالِصُ، يُقالُ: تلظَّت النَّارُ تتلظَّى تَلَظِّيًا: أي: توقَّدَت وتوهَّجَت وتلَهَّبَت.

لِلشَّوَى: أي: الأطرافِ -اليَدينِ والرِّجْلينِ- وجِلْدِ الرَّأسِ، وأصلُ (شوي): يدُلُّ على الأمرِ الهَيِّنِ؛ مِن حيثُ إنَّ الشَّوى ليس بمَقْتَلٍ.

تفسير الآيات:

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (8).

أي: يومَ تكونُ السَّماءُ كالشَّيءِ المائعِ الَّذي بَلَغ أقصَى الغايةِ في شِدَّةِ الحرارةِ.

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (9).

أي: وتكونُ الجِبالُ يَومَ القيامةِ كالصُّوفِ المصبوغِ.[45]

كما قال تعالى: وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ [القارعة: 5].

وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (10).

أي: ولا يَسأَلُ يومَ القيامةِ قَريبٌ في غايةِ القُربِ والصَّداقةِ قَريبًا مِثْلَه عن حالِه وشأنِه؛ لشُغلِ كلِّ إنسانٍ بنَفْسِه عن غيرِه؛ لشِدَّةِ ما يَعتريه مِن الهَولِ والفَزَعِ!

---

(45) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٠٣ - ٤٠٤) أنّ بعض اللغويين قال: العهن: «هو الصوف المصبوغ ألوانًا».

وبيّن أنّ مَن قال بهذا استدلّ بقول زُهير:

كأن فُتات العِهْن في كلّ منزل نَزلْنَ به حَبُّ الفَنا لم يُحَطَّمِ

ثم قال: «وحب الفنا: هو عِنَب الثعلب.

وكذلك هو عند طِيبه وقبل تحطّمه ألوان بعضه أحمر، وبعضه أصفر، وبعضه أخضر؛ لاختلافه في النضج».

ثم علَّق بقوله: «وتشبه ﴿الجبال﴾ به -على هذا القول-؛ لأنها جُدَد بِيض وحُمر وسُود، فيجيء التشبيه من وجهين: أحدهما: في الألوان.

والثاني: في الانتفاش».

وبيّن (٨/ ٤٠٤) أنّ مَن قال: إنّ العهن: الصوف دون تقييد، جَعل التشبيه في الانتفاش وتخلخل الأجزاء فقط.

كما قال تعالى: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ [المؤمنون: 101].

وقال سبحانه: لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ [عبس: 37].

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11).

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ: وَلَا يُسْأَلُ على معنى: لا يُسأَلُ قَريبٌ عن قريبِه، أو على معنى: لا يُقالُ لحَميمٍ: أينَ حَميمُك؟ أي: لا يُطالَبُ قَريبٌ بأن يُحضِرَ قَريبَه؛ لأنَّه لا جَوْرَ هناك، بخِلافِ ما يُفعَلُ في الدُّنيا أحيانًا بأن يُؤخَذَ الجارُ بالجارِ، والحَميمُ بالحَميمِ.[46]

2- قراءةُ: وَلَا يَسْأَلُ على معنى: لا يَسألُ قَريبٌ قريبَه عن حالِه وشأنِه.[47]

يُبَصَّرُونَهُمْ.

---

(46) قرأ بها: أبو جعفر.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (390/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (259/23)، ((معاني القراءات)) للأزهري (89/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 722).

(47) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (390/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (259/23)، ((معاني القراءات)) للأزهري (89/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 722).

أي: يُعرَّفُ كُلُّ حميمٍ بحَميمِه حتَّى يَعرِفَه، ويَرى ما فيه مِن كَربٍ وشِدَّةٍ، ومع ذلك لا يَسأَلُ عن حالِه وشأنِه؛ لشدَّةِ انشِغالِه بنَفْسِه![48]

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (12).

أي: يَرغَبُ الكافِرُ في ذلك اليومِ ويتمَنَّى أن يُقبَلَ منه تقديمُ أبنائِه وزَوجتِه وإخوانِه؛ لإنقاذِ نَفْسِه مِنَ العَذابِ، فيُعذَّبون عِوَضًا عنه، ويَسلَمُ هو!

كما قال الله تبارك وتعالى: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ [عبس: 34 – 36].

وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13).

أي: ويَوَدُّ أن يُقبَلَ مِنه تقديمُ عَشيرتِه الَّتي كانت في الدُّنيا تضُمُّه وتَنصُرُه وتُعينُه، فتُعذَّبُ هي عِوَضًا عنه.[49]

---

(48) اختُلف في الذين عُنوا بالهاء والميم في قوله: ﴿يبصـــرونهم﴾ على أقوال: الأول: أنه عُني بذلك: الأقرباء؛ أنهم يَعرفون أقرباءهم، ويَعرف كلّ إنسان قريبه، فذلك تبصير الله إياهم.

الثاني: أنّ المؤمنين يُبصرون الكافرين.

الثالث: أنّ الكفار الذين كانوا أتباعًا لآخرين في الدنيا على الكفر يُعرّفون المتبوعين في النار.

ورجّح ابنُ جرير (٢٣/ ٢٥٩) –مستندًا إلى السياق– القول الأول الذي قاله ابن عباس، وقتادة، فقال: «لأنّ ذلك أشبهها بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أنّ قوله: ﴿يبصـــرونهم﴾ تلا قوله: ﴿ولا يســـأل حميم حميما﴾؛ فلأن تكون الهاء والميم من ذكرهم أشبه منها بأن تكون مِن ذِكْر غيرهم».

(49) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٠٥) أنّ الفصيلة –في هذه الآية–: قرابة الرجل الأدنون.

مثال ذلك: بنو هاشم مع النبي – ﷺ –.

وأنها أيضًا في كلام العرب: الزوجة.

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (14).

أي: ويَرغَبُ في تقديمِ جَميعِ مَن في الأرضِ مِن أصدقائِه وغَيرِهم، فيُعذَّبون بَدَلًا منه، وينجُو بذلك مِن عَذابِ اللهِ.

كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (15).

أي: لن يكونَ للمُجرِمِ ما تمنَّاه مِنَ الافتداءِ مِن عَذابِ اللهِ، فليس يُنجِيه مِن النَّارِ شَيءٌ؛ إنَّها نارٌ مُتلَهِّبةٌ مُتوَقِّدةٌ شَديدةُ الحرارةِ!

كما قال تعالى: فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى [الليل: 14].

نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (16).

أي: تَنزِعُ تلك النَّارُ أطرافَ أبدانِ المجرِمينِ -كاليَدينِ والرِّجْلينِ-، وجِلدةَ رُؤوسِهم.[50]

ثم قال: «ولكن ذِكْر الصاحبة في هذه الآية لم يُبْق في معنى الفصيلة إلا الوجه الذي ذكرناه».

(50) ذكر ابنُ جرير (٢٣/ ٢٦١) أنّ «الشوى»: جمع شواة، وهي من جوارح الإنسان ما لم يكن مَقتلًا، يقال: رمى فأشوى: إذا لم يُصب مقتلًا، ثم علَّق بقوله: «فربما وصف الواصف بذلك جِلدة الرأس، كما قال الأعشى:

قالَتْ قُتَيْلَةُ ما لَهُ قَدْ جُلِّلَتْ شَيْبًا شَواتُهْ؟

وربما وصف بذلك الساق كقولهم في صفة الفرس:

عبْل الشوى نهد الجزاره

يعني بذلك: قوائمه، وأصل ذلك كله ما وصفت».

وبنحوه قال ابنُ عطية (٨/ ٤٠٥ – ٤٠٦)، وكذا قال ابنُ القيم (٣/ ١٩٦).

تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (17).

أي: تدعو تلك النَّارُ إليها كلَّ مَنْ أدْبرَ في الدُّنيا عن الحَقّ، وتولَّى عنه إلى الباطِلِ.[51]

كما قال تعالى: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ [التغابن: 12].

وقال سبحانه: وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ [الأحقاف: 3].

وَجَمَعَ فَأَوْعَى (18).

أي: وجمَعَ الأموالَ فكَنَزَها، ومَنَع حَقَّ اللهِ فيها، فلم يُنفِقْ منها فيما أمَرَه.

---

(51) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٠٦) أنه على هذا القول فدعاء النار حقيقة، ثم نَقل عن الخليل بن أحمد القول بأنّ نداءها عبارة عن حِرْصها عليهم، واستدنائها لهم، وما تُوقعه من عذابها.

ونَقل عن ثعلب القول بأنّ: ﴿تَدْعُو﴾ معناه: تُهلك، ثم علَّق بقوله: «تقول العرب: دعاك الله، أي: أهلكك، وحكاه الخليل عن العرب».

كما قال الله تبارك وتعالى: وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ [التوبة: 34، 35].

وقال سبحانه: الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ *كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ [الهمزة: 2 – 4].

سورةُ المعارجِ

الآيات (19-35)

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21)
إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ
(24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ
رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (27) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ
(29) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (31) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (32) وَالَّذِينَ هُمْ
بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (33) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (34) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ
مُكْرَمُونَ (35)

غريب الكلمات:

هَلُوعًا: أي: شَديدَ الحِرصِ، قَليلَ الصَّبرِ، والهَلَعُ: جَزَعٌ واضطِرابٌ يَعترِي الإنسانَ عِندَ المَخاوِفِ وعندَ المَطامِعِ، وأصلُ (هلع): يدُلُّ على سُرعةٍ وحِدَّةٍ.

جَزُوعًا: أي: كثيرَ الجَزَعِ، والجَزَعُ: نَقيضُ الصَّبرِ، وهو انقِطاعُ القُوَّةِ عن حَملِ ما نزَلَ، وأصلُ (جزع): يدُلُّ على انقِطاعٍ.

بِيَوْمِ الدِّينِ: أي: يومِ الجزاءِ والحسابِ، وهو يومُ القيامةِ، يُقالُ: دِنْتُه بما صَنَع، أي: جازيتُه، وأصلُ (دين) جِنْسٌ مِن الانْقِيادِ، والذُّلِّ.

مُشْفِقُونَ: أي: خائِفونَ حَذِرونَ، وأصلُ (شفق): يدُلُّ على رِقَّةٍ في الشَّيءِ.

الْعَادُونَ: أي: المُعْتَدونَ المُجاوِزونَ ما أحَلَّ اللهُ لهم إلى ما حَرَّمَ عليهم، وأصلُ (عدو): يدُلُّ على تَجاوُزٍ في الشَّيءِ وتقَدُّمٍ لِما ينبغي أن يُقتَصَرَ عليه.

تفسير الآيات:

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19).

أي: طُبِعَ النَّاسُ ورُكِّبوا على شدَّةِ الحِرصِ الَّذي يترتَّبُ عليه الجزَعُ والمنْعُ، فلا يَشكُرونَ اللهَ على النَّعْماءِ، ولا يَصبِرونَ على الضَّرَّاءِ.[52]

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ – ﷺ – يقولُ: ((شَرُّ ما في رجُلٍ: شُحٌّ هالِعٌ، وجُبنٌ خالِعٌ))[53].[54]

---

(52) نَقل ابنُ تيمية (٦/ ٣٩٤) عن الجوهري القول بأنّ الهَلَع: أفحَش الجَزع.

وعن غيره أنه في اللغة: أشدّ الحِرص وأسوأ الجَزع.

وساق قول النبي – ﷺ –: «شرُّ ما في المرء شُحٌّ هالِع، وجُبْنٌ خالع».

ثم علَّق بقوله: «ولهذا كان كلام السلف في تفسيره يتضمن هذه المعاني».

وساق الآثار.

(53) الجُبْنُ الخالعُ: هو الشَّـديدُ، كأنَّه يَخلَعُ قلبَه مِن شِـدَّةِ خَوفِه، والمرادُ به: ما يَعرِضُ مِن نَوازِعِ الأفكارِ، وضَـعفِ القلبِ عندَ الخَوفِ.

يُنظر: ((غريب الحديث)) للقاسم بن سلَّام (651/2)، ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (65/2).

(54) أخرجه أبو داودَ (2511)، وأحمدُ (8010)، وابن حبَّانَ (3250).

صحَّحه ابنُ تيميَّةَ في ((مجموع الفتاوى)) (437/28)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (2511)، وشعيبُ الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (2511).

وعن عَمرِو بنِ تَغلِبَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ - ﷺ - قال: ((إنِّي أُعطي الرَّجُلَ، وأدَعُ الرَّجُلَ، والَّذي أدَعُ أحَبُّ إلَيَّ مِن الَّذي أُعطِي؛ أُعطي أقوامًا لِما في قُلوبِهم مِنَ الجَزَعِ والهَلَعِ، وأَكِلُ أقوامًا إلى ما جَعَلَ اللهُ في قُلوبِهم مِنَ الغِنى والخَيرِ)).[55]

إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20).

أي: إذا أصاب الإنسانَ بلاءٌ -كفَقرٍ، أو مَرَضٍ، أو فَقْدِ حَبيبٍ- فإنَّه يَجزَعُ بشِدَّةٍ، ولا يَصبِرُ.

وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21).

أي: وإذا أصاب الإنسانَ خَيرٌ ونِعمةٌ، فصار غَنيًّا كَثيرَ المالِ؛ فإنَّه يَغْدُو شديدَ البُخلِ بمالِه، فلا يُنفِقُه في طاعةِ اللهِ، ولا يُعطي منه ذَوِي الحاجةِ مِن عِبادِ اللهِ.

إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22).

أي: إلَّا المصَلِّينَ المتَّصِفينَ بالأوصافِ الآتيةِ، فليسوا كذلك؛ فهم صابِرونَ في الضَّرَّاءِ، شاكِرونَ في السَّرَّاءِ.

---

(55) رواه البخاري (7535).

الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23).

أي: الَّذين يُواظِبونَ على أداءِ صَلَواتِهم المفروضةِ على الوَجهِ الصَّحيحِ، فلا يتخَلَّفونَ عنها، ولا يَتركونَها.[56]

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24).

أي: والَّذين في أموالِهم نَصيبٌ معلومٌ لِذَوي الحاجةِ.[57]

---

(56) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٠٧) أنّ الجمهور على أنّ المعنى: مواظبون قائمون لا يَمَلُّون في وقت من الأوقات فيتركونها.

ثم علَّق بقوله: «وهذا في المكتوب، وأما النافلة فالدوام عليها الإكثار منها بحسب الطاقة، وقد قال – ﷺ –: «أحبّ العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه»».

وذكر ابنُ تيمية (٦/ ٣٩٥) أنّ السلف فسَّروا الدائم على الصلاة بالمُحافِظ على أوقاتها، وبالدائم على أفعالها بالإقبال عليها.

ثم علَّق بقوله: «والآية تعمّ هذا وهذا، فإنه قال: ﴿على صلاتهم دائمون﴾، والدائم على الفعل هو المُديم له الذي يفعله دائمًا، فإذا كان هذا فيما يفعل في الأوقات المتفرقة، هو أن يَفعله كلّ يوم بحيث لا يَفعله تارة ويتركه أخرى، وسُمّي ذلك دوامًا عليه، فالدوام على الفعل الواحد المتصل أولى أن يكون دوامًا وأن تتناول الآية ذلك، وذلك يدل على وجوب إدامة أفعالها؛ لأن الله – عز وجل – ذمّ عموم الإنسان، واستثنى المُداوِم على هذه الصفة، فتاركُ إدامة أفعالها يكون مذمومًا من الشارع، والشارع لا يذمّ إلا على ترْك واجب أو فِعْل محرم».

(57) اختُلف في المراد بالحق المعلوم على قولين: الأول: أنه الزَّكاة المفروضة.

الثاني: أنه حقٌّ سوى الزَّكاة.

ورجَّح ابنُ عطية (٨/ ٤٠٨) –مستندًا إلى أحوال النزول– القول الثاني الذي قاله ابن عمر، ومجاهد، والنَّخَعي، فقال: «هو الأصحُّ في هذه الآية؛ لأنّ السورة مكّيّة، وفرْض الزَّكاة وبيانها إنما كان بالمدينة».

لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25).

أي: في أموالِهم حقٌّ معلومٌ للسَّائِلِ الَّذي يَسأَلُ النَّاسَ الصَّدَقاتِ، والمتعفِّفِ الَّذي لا يَسألُ النَّاسَ رَغمَ حاجتِه وفَقْرِه الشَّديدِ.[58]

وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26).

أي: والَّذين يُقِرُّونَ بمَجيءِ يومِ القيامةِ الَّذي يقَعُ فيه الحِسابُ والجَزاءُ.

وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (27).

أي: والَّذين هم مِن عَذابِ رَبِّهم وَجِلُونَ حَذِرونَ؛ فهم لذلك حَريصونَ على امتِثالِ أوامِرِ اللهِ تعالى، واجتِنابِ نَواهيه.

كما قال تبارك وتعالى: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ [المؤمنون: 60].

---

(58) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٠٨) في المحروم أقوالًا: الأول: مَن احترق زَرْعه.

الثاني: مَن ماتتْ ماشيته.

وعلَّق عليهما بقوله: «وهذه أنواع الحرمان، لا أنّ الاسم يلزم هذا خاصّة».

الثالث: أنه الكلب.

ونسبه لعمر بن عبد العزيز.

ووجّهه بقوله: «أراد –والله أعلم– أن يُعطي مثالًا من الحيوان ذي الكبد الرّطبة لما فيه من الأجر حسب الحديث المأثور».

وقال سبحانه: وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ [الطور: 25 – 27].

إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28).

أي: إنَّ عذابَ اللهِ غيرُ مأمونٍ لأحَدٍ؛ فوَجَب الخَوفُ والحَذَرُ منه، بتَركِ مُخالَفةِ أمرِ اللهِ ونَهيِه.

كما قال تعالى: يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا [السجدة: 16].

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29).

أي: والَّذين هم صائِنونَ لِفُروجِهم من كُلِّ ما حرَّمه اللهُ تعالى عليهم بشأنِها.[59]

إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30).

أي: هم يحفَظونَ فُروجَهم إلَّا مِن زَوجاتِهم أو مِن إمائِهم اللَّاتي يَملِكونَهنَّ، فلا حَرَجَ عليهم في وَطْئِهنَّ، والاستِمتاعِ بهِنَّ على الوَجهِ المشروعِ، ولا يُلامُون على ذلك.

---

(59) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٠٩) أن «الفروج» في هذه الآية: هي الفروج المعروفة، والمعنى: يحفظونها مِن الزنا. ثم نقل عن الحسن بن أبي الحسن القول بأنه أراد فروج الثياب، وعلَّق عليه بقوله: «وإلى معنى الوطء يعود».

فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (31).

أي: فمَن طَلَب الاستِمتاعَ بغَيرِ زَوجتِه وجاريتِه فهم المُعتَدونَ، المُجاوِزونَ ما أحلَّه اللهُ تعالى إلى ما حَرَّمه.

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (32).

أي: والَّذين هم لِمَا ائْتَمَنَهم اللهُ والنَّاسُ عليه، ولعُهودِهم مع اللهِ وعِبادِه: مُراعونَ قائِمونَ بحِفظِها، فلا يَخونونَ الأماناتِ، ولا يَنقُضونَ العُهودَ.

كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا [النساء: 58].

وقال سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [المائدة: 1].

وقال عزَّ وجلَّ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال: 27].

وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (33).

أي: والَّذين هم قائِمونَ بأداءِ الشَّهادةِ المطلوبةِ منهم شرعًا، ولو على أقاربِهم، فيَتحمَّلونَها، ويهتَمُّونَ بها، ويَحفَظونَها حتَّى يؤَدُّوها في غايةِ التَّمامِ دونَ زيادةٍ أو نُقصانٍ، ودونَ تبديلٍ أو كِتمانٍ.(60)

كما قال الله تعالى: وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ [البقرة: 283].

وقال سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [النساء: 135].

---

(60) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤١٠ – ٤١١) أنّ قوله: ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ له معنيان: الأول: أنهم يَحفظون ما يَشهدون فيه، ويَتيقّنونه ويقومون بمعانيه حتى لا يكون لهم فيه تقصير.

وعلَّق عليه بقوله: «وهذا هو وصف من تمثيل قول النبي – ﷺ –: «على مثل الشمس فاشهد»».

الثاني: أنّ المعنى: الذين إذا كانت عندهم شهادة ورأوا حقًّا يدرَس أو حُرمة لله تُنتهك قاموا بشهادتهم.

ونَقل عن ابن عباس القول بأنّ شهادتهم في هذه الآية: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وساق حديث النبي – ﷺ –: «خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها».

ثم قال: «واختلف الناس في معنى هذا الحديث بحسب المَعْنَيَيْن اللذَيْن ذكرنا في الآية، إحداهما: أنْ يكون يحفظها مُتقنة فيأتي بها ولا يَحتاج أن يُستَفْهَم عن شيء منها ولا أن يُعارَض.

والثاني: إذا رأى حقًّا يعمل بخلافه وعنده في إحياء الحق شهادة».

ثم ساق حديث النبي – ﷺ –: «سيأتي قوم يخونون ولا يُؤتمنون، ويشهدون ولا يُستشهدون، ويظهر فيهم السّمَن».

وبيّن أنه اختُلف في معنى هذا الحديث على قولين: الأول: أنهم قوم مُؤمنون يَتعرّضون ويحرصون على وضع أسمائهم في وثائق الناس، وينصبون لذلك الحبائل من زي وهيئة وهم غير عُدول في أنفسهم فيغرّون بذلك ويَضرّون.

وعلَّق عليه بقوله: «فهذا في ابتداء الشهادة لا في أدائها، ويجيء قوله – ﷺ –: «ولا يُستشهدون»، أي: وهم غير أهل لذلك».

الثاني: أنهم هم شهود الزُّور، يؤدونها، والمشهود عليهم لم يشهدهم، ولا الآخر".

وقال عزَّ وجلَّ: وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ [الفرقان: 72].

وقال تبارك وتعالى: وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ [الطلاق: 2].

وعن زَيدِ بنِ خالدٍ الجُهَنِيّ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال: ((ألَا أُخبِرُكم بخَيرِ الشُّهَداءِ؟ الَّذي يأتي بشَهادتِه قبل أن يُسأَلَها)).[61]

وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (34).

أي: والَّذين هم يُحافِظونَ على أداءِ صَلاتِهم، وإقامتِها على الوَجهِ الصَّحيحِ المطلوبِ منهم شَرْعًا.[62]

أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (35).

أي: أولئِك المتَّصِفونَ بتلك الصِّفاتِ: في جنَّاتٍ يُكرِمُهم اللهُ تعالى فيها بأنواعِ الكَراماتِ، وأصنافِ المسَرَّاتِ.

---

(61) رواه مسلم (1719).

ويُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (5/259).

(62) ذكر ابنُ تيمية (٦/ ٣٩٦) أنّ ابن جُرَيْج قال في قوله: ﴿والذين هم على صـــلواتهم يحافظون﴾ المكتوبة، والتي في ســـأل سائل: التطوع.

وانتقده بقوله: «وهذا قول ضعيف».

كما قال تعالى: إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ *كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ [الصافات: 40 – 49].

سورةُ المعارجِ

الآيات (36-44)

فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (36) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (37) أَيَطْمَعُ كُلُّ
امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (38) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (39) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (40) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (41)
فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (42) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ
سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (43) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي
كَانُوا يُوعَدُونَ (44)

غريب الكلمات:

قِبَلَكَ: أي في جهتِك، وما يَليك، وأصلُ (قبل): يدُلُّ على مُواجَهةِ الشَّيءِ للشَّيءِ.

مُهْطِعِينَ: أي: مُسرِعينَ مُقبِلينَ، وأصلُ (هطع): يدُلُّ على إقبالٍ على الشَّيءِ، وانقيادٍ.

عِزِينَ: أي: جماعاتٍ مُتفَرِّقةً، واحِدُها: عِزَةٌ، وهي: العُصبةُ مِنَ النَّاسِ، وهو مِن المنقوصِ الَّذي جاز جمعُه بالواوِ والنُّونِ عِوَضًا مِنَ المحذوفِ، وأصلُها عِزْوَةٌ، وأصلُه مِن: عَزَوتُه فاعتَزَى: أي: نسَبْتُه فانتسَبَ؛ لأنَّ كُلَّ فِرقةٍ تَعتزي -تنتَسِبُ- إلى غَيرِ ما تعتَزي إليه الفِرقةُ الأُخرى، وأصلُ (عزو): يدُلُّ على انتماءٍ واتِّصالٍ.

الْأَجْدَاثِ: أي: القُبورِ، واحِدُها: الجَدَثُ.

نُصُبٍ: واحِدُ الأنصابِ: وهي حِجارةٌ كانت حوْلَ الكَعبةِ تُنصَبُ، فيُهَلُّ عليها، ويُذبَحُ عليها لغيرِ اللهِ تعالى، وقد كَثُرَ استِعمالُ هذا الاسمِ في الأصنامِ حتَّى قيلَ لها: الأنصابُ، ووَجهُ تَسميتِها نُصُبًا أنَّها تُنصَبُ للعِبادةِ، وأصلُ (نصب): يدُلُّ على إقامةِ شَيءٍ.

يُوفِضُونَ: أي: يُسرِعُونَ، يُقالُ: أوْفَضَ إيفاضًا: أَسْرَعَ.

خَاشِعَةً: أي: ذليلةً خاضِعةً، وأصلُ (خشع): يدُلُّ على التَّطامُنِ.

تَرْهَقُهُمْ: أي: تَغشاهم وتَلحَقُهم، وأصلُ (رهق): يدُلُّ على غِشيانِ الشَّيءِ الشَّيءَ.

تفسير الآيات:

فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (36).

أي: فما شأنُ كُفَّارِ قُرَيشٍ -يا محمَّدُ- يُسرِعونَ نَحوَك ويُقبِلونَ عليك وأبصارُهم مُتطَلِّعةٌ إليك؟!

عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (37).

أي: عن يمينِك وعن شِمالِك -يا محمَّدُ- مُتفرِّقينَ.

أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (38).

أي: أيطمَعُ كلُّ واحدٍ مِن أولئكَ المُشرِكينَ أن يُدخِلَه اللهُ جَنَّةَ نَعيمٍ يومَ القيامةِ؟!

كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (39).

أي: ليس الأمرُ كما يَطمَعون، فليس لهم أن يَدخُلوا الجَنَّةَ مع كُفرِهم باللهِ وإشراكِهم به، إنَّا خلَقْناهم مِن نُطفةٍ كما يَعلَمونَ.

فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (40).

أي: فلا أُقسِمُ بخالِقِ ومُدَبِّرِ المشارِقِ والمغارِبِ، إنَّا لَقادِرون.

عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (41).

عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ.

أي: إنَّا لَقادِرونَ على إهلاكِ المُشرِكِينَ، والإتيانِ بقَومٍ خَيرٍ مِنهم يُطيعونُ رَبَّهم، ويَتَّقونه.(63)

كما قال تعالى: إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا [النساء: 133].

وقال الله سُبحانَه: وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ [محمد: 38].

وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ.

أي: وما يَفوتُنا منهم أحَدٌ، فيُعجِزَنا هَرَبًا؛ فاللهُ تعالى قادِرٌ على الإتيانِ بخَيرٍ منهم؛ إذ لا يمتَنِعُ عليه شَيءٌ سُبحانَه.

فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (42).

أي: فاترُكِ المُشرِكِينَ -يا محمَّدُ- يَخوضُوا في باطِلِهم، ويَلعَبوا في دُنياهم بشَهَواتِهم، إلى أن يُلاقُوا يومَ القيامةِ الَّذي فيه عَذابُهم!

---

(63) ذكر ابنُ كثير (١٤/ ١٣٧) أنّ معنى قوله: ﴿أن نبدل خيرا منهم﴾: أن نعيدهم بأبدان خير من هذه، فإنّ قدرته تعالى صالحة لذلك.

ثم ساق هذا المعنى بأنه الإتيان بخلق أمثل وأطوع.

ورجَّح -مستندًا إلى السياق- المعنى الأول، فقال: «والمعنى الأول أظهر؛ لدلالة الآيات الأُخَر عليه».

كما قال الله تبارك وتعالى: ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الحجر: 3].

يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (43).

يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا.

أي: يومَ يخرُجُ المشركون مِن قُبورِهم مُسرِعِينَ نحوَ مَوقِفِ الحِسابِ.

كما قال الله تعالى: يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ [ق: 44].

وقال سُبحانَه: خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (7) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ [القمر: 7، 8].

كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ.

أي: يَخرُجونَ مِن قُبورِهم كأنَّهم يَسعَونَ مُتعَجِّلينَ مُسرِعِينَ إلى أصنامِهم الَّتي نصَبوها للعبادةِ يَبْتَدِرون، أيُّهم يَسْتَلِمُه أوَّلَ.

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ: نُصُبٍ بضَمِّ النُّونِ والصَّادِ. قيل: بمعنى الأصنامِ المَنصوبةِ.(64)

2- قراءةُ: نَصْبٍ بفَتحِ النُّونِ. قيل: بمعنى: العَلَمِ المَنصوبِ. وقيل: القِراءتانِ بمعنًى واحِدٍ.(65)

كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ.

خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (44).

خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ.

أي: تكونُ أبصارُهم يومَ القيامةِ خاضِعةً ساكِنةً، وتَغْشاهم ذِلَّةٌ.

كما قال تعالى: وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا [يونس: 27].

---

(64) قرأ بها ابنُ عامرٍ، وحفصٌ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (391/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (224/5)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 353)، ((معاني القراءات)) للأزهري (92/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 724، 725).

(65) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (391/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (224/5)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 353)، ((معاني القراءات)) للأزهري (92/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 724، 725).

وقال سبحانه: وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ [الشورى: 45].

وقال عزَّ وجلَّ: قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ [النازعات: 8، 9].

ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ.

أي: ذلك اليَومُ الموصوفُ بتلك الشَّدائِدِ هو يومُ القيامةِ الَّذي كان الكُفَّارُ يُوعَدونَ به في الدُّنيا على ألسِنةِ الرُّسُلِ عليهم السَّلامُ، وكانوا به يُكذِّبونَ!

تَفْسِيرُ
سُورَةِ نوحٍ

سُورةُ نوحٍ

سورةُ نوحٍ

سُمِّيت هذه السُّورةُ بسُورةِ (نوحٍ).[66]

سُورةُ (نوح) مكِّيَّةٌ، ونقَلَ الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المفسِّرينَ.[67]

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ:

ضَرْبُ المَثَلِ للمشركينَ بقَومِ نُوحٍ، وهمْ أوَّلُ المشركينَ.

---

(66) سُمِّيت السُّورةُ بذلك؛ لذِكرِ نُوحٍ عليه السَّلامُ في مُفتتَحِها ومُختتَمِها، وذِكرِ قصَّتِه مع قَومِه، ودَعْوته لهم.

((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (482/1).

قال السعديُّ: (لم يَذكُرِ اللهُ في هذه السُّورةِ سِوى قصَّةِ نوحٍ وحْدَها؛ لطُولِ لُبْثِه في قَومِه، وتَكرارِ دَعوته إلى التَّوحيدِ، ونَهْيِه عن الشِّركِ).

((تفسير السعدي)) (ص: 888).

(67) ممَّن نقَلَ الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّةَ، وابنُ الجَوزيِّ، والبِقاعيُّ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (343/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (341/4)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (123/3).

ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤١٥) أنّ السورة مكية بإجماع من المتأولين.

مِن أهمِّ المَوضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- ذِكرُ دَعوةِ نوحٍ عليه السَّلامُ قومَه وما قالَه لهم.

2- ذِكرُ الطُّرقِ الَّتي سَلَكَها نوحٌ عليه السَّلامُ مع قَومِه في دَعوتِهم؛ كالتَّرغيبِ والتَّرهيبِ، وتَذكيرِهم بخَلْقِهم، ودَعوتِهم إلى التَّأمُّلِ والتَّفكُّرِ في نِعَمِ اللهِ عليهم، والاستِدلالِ ببَدائعِ صُنْعِ اللهِ تَعالى، والتَّذكيرِ بيَومِ البعْثِ.

3- بَيانُ مَوقفِ قومِ نوحٍ عليه السَّلامُ مِن دَعوتِه، وتَصميمِهم على عِصيانِه، وتَمسُّكِهم بشِرْكِهم، وعِقابِهم في الدُّنيا والآخِرةِ.

4- دُعاءُ نُوحٍ عليه السَّلامُ على قَومِه بالاستِئصالِ.

5- دُعاءُ نُوحٍ عليه السَّلامُ بالمغفرةِ له ولِوالِدَيه وللمؤمنينَ، وبالتَّبَارِ للكافِرين.

سورةُ نوحٍ

الآيات (1–4)

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (1) قَالَ يَا قَوْمِ
إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (2) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (3) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ
وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (4)

غريب الكلمات:

نَذِيرٌ: أي: مُنذِرٌ مُخَوِّفٌ، وأصلُ (نذر): يدُلُّ على تخويفٍ.

أَجَلٍ مُسَمًّى: أي: مُعَيَّنٍ، مَعلومٍ سَمَّاهُ اللهُ للأعمارِ، والأجَلُ: غايةُ الوَقتِ، والمدَّةُ المضروبةُ للشَّيءِ في الموتِ وغَيرِه.

تفسير الآيات:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (1)﴾.

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ.

أي: إنَّا أرسَلْنا نوحًا إلى قومِه المُشرِكينَ بأنْ حذِّرْ قومَك مِنَ الاستِمرارِ على شِرْكِهم.(68)

كما قال تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [الأعراف: 59].

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

أي: مِن قبْلِ أن يأتيَهم عذابٌ مُؤلِمٌ في غايةِ الإيلامِ.(69)

---

(68) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤١٥) أنّ قوله: ﴿أن أنذر قومك﴾ يحتمل احتمالين: الأول: أن تكون ﴿أن﴾ مُفسِّرة لا موضع لها من الإعراب.

الثاني: أن يكون التقدير: «بأنْ أنذِر قومك».

وعلّق عليه بقوله: «وهي –على هذا– في موضع نصب عند قوم من النحاة، وفي موضع خفض عند آخرين».

وبيّن أنّ العذاب الذي تُوّعدوا به يحتمل احتمالين: الأول: أن يكون عذاب الآخرة.

الثاني: أن يكون عذاب الدنيا.

ورجَّحه مستندًا إلى السياق، فقال: «وهو الأظهر، والأَليق بما يأتي بعد».

(69) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤١٦) أقوالًا في معنى ﴿من﴾: الأول: أنها زائدة.

ونسبه لِنُحاة الكوفة.

ثم علّق بقوله: «وأمّا الخليل وسيبويه فلا يجوز عندهم زيادتها في الواجب».

وساق ابنُ كثير (١٤/ ١٣٨) هذا القول، ثم علّق بقوله: «ولكنّ القول بزيادتها في الإثبات قليل.

كما قال تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ [العنكبوت: 14].

وقال سُبحانَه: مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا [نوح: 25].

قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (2).

أي: قال نوحٌ مُمتثِلًا ما أمَرَه اللهُ تعالى به: يا قَوم، إِنِّي نَذيرٌ لكم ظاهِرُ النِّذارةِ، أُخَوِّفُكم عذابَ اللهِ إن عبَدْتُم غيرَه، وأُبَيِّنُ لكم ما أرسَلَني اللهُ به.

كما قال تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ [هود: 25، 26].

ومنه قول بعض العرب: قد كان من مطر».الثاني: أنها لبيان الجنس.

وانتقده فقال: «وهذا ضعيف؛ لأنه ليس هنا جنس يُبَيَّن».

الثالث: أنها بمعنى «عن».

وانتقده مستندًا للغة، فقال: «وهذا غير معروف في أحكام» من «».

الرابع: أنها لابتداء الغاية، وعلَّق عليه بقوله: «وهذا قول يتجه، كأنه يقول: يبتدئ الغفران من هذه الذّنوب العِظام التي لهم».

الخامس: أنها للتبعيض.

ورجَّحه مستندًا إلى الدلالة العقلية، فقال: «وهذا عندي أبين الأقوال، وذلك أنه لو قال:» يَغْفِر لكم ذُنوبكم «لعمّ هذا اللفظ ما تَقدّم من الذّنوب وما تأخر عن إيمانهم، والإسلام يَجبّ ما قبله، فهي بعض من ذنوبهم، فالمعنى: يَغْفِر لكم ذُنوبكم».

وذكر أنّ بعض المفسرين قال: أراد: يَغْفِر لكم من ذُنوبكم المهمّ المُوبق الكبير؛ لأنه أهمّ عليهم، وبه ربما كان اليأس عن الله قد وقع لهم.

وعلَّق عليه بقوله: «وهذا قول مُضمّنه أنّ ﴿من﴾ للتبعيض».

أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (3).

أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ.

أي: قال نوحٌ لِقَومِه: آمُرُكم بعبادةِ اللهِ وَحْدَه، وعَدَمِ الإشراكِ به شَيئًا.

كما قال تعالى: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ [النحل: 36].

وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ.

أي: وآمُرُكم بأن تجعَلوا بيْنَكم وبيْنَ سَخَطِ اللهِ وعِقابِه حاجِزًا يَقيكم ذلك؛ بامتِثالِ ما أمَرَ به، واجتِنابِ ما نَهى عنه، وآمُرُكم بطاعتي.

كما قال تعالى: إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ [الشعراء: 106 – 108].

وقال سُبحانَه: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ [النساء: 64].

يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (4).

يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ.

أي: فإنَّكم إنْ عَبَدْتُم اللهَ وَحْدَه واتَّقَيْتُموه وأطَعْتُموني، يَمْحُ مِن ذُنوبِكم فلا يُؤاخِذْكم بها.

وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى.

أي: ولا يُعاجِلْكم اللهُ تعالى بعذابِ الاستِئصالِ الَّذي تَستَحِقُّونَه؛ بسَبَبِ شِرْكِكم، وإنَّما يُعافيكم إلى منتَهَى آجالِكم المُقدَّرةِ، إن آمَنْتُم وأطَعْتُم.

كما قال تعالى: قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى [إبراهيم: 10].

إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

أي: إنَّ الأجَلَ الَّذي كتَبَه اللهُ لِمَوتِ كُلِّ أحدٍ مِن خَلْقِه: لا يُؤخَّرُ عن وَقتِه، فلو كنتُم تعلَمونَ ذلك لَتُبْتُم إلى اللهِ سُبحانَه مِمَّا أنتم عليه مِنَ الشِّركِ به.

كما قال اللهُ تعالى: وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ [الأعراف: 34].

وقال سُبحانَه: وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا [المنافقون: 11].

سورةُ نوحٍ

الآيات (5–12)

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا
دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا
(7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12)

غريب الكلمات:

وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ: أي: تغطَّوْا بها، وجَعَلوها غِشاوةً على أسماعِهم وأبصارِهم، وذلك عبارةٌ عن الامتِناعِ عن الإصغاءِ، وأصلُ (غشي): يدُلُّ على تغطيةِ شَيءٍ بشَيءٍ.

مِدْرَارًا: أي: مُتتابِعًا غزيرًا، والدَّرُّ: تحلُّبُ الشَّيءِ حالًا بعدَ حالٍ، وأصلُه مِنَ الدَّرِّ، أي: اللَّبَنِ، ويُستعارُ ذلك للمَطَرِ.

تفسير الآيات:

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5).

أي: قال نوحٌ مُشتكِيًا إلى ربِّه طُغيانَ قومِه: ربِّ إنِّي دَعوتُ قومي في اللَّيلِ والنَّهارِ إلى توحيدِك، وحذَّرْتُهم مِنَ الشِّركِ بك ومَعصيتِك.

فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6).

أي: فلم يَزِدْهم دُعائي لهم إلى الحقِّ ليتَّبِعوه إلَّا هَرَبًا منه، وإعراضًا عنه!

كما قال الله تبارك وتعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ [القمر: 9].

وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7).

وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ.

أي: وإنِّي كُلَّما دَعوتُهم إلى سَبَبِ المَغفِرةِ -وهو الإيمانُ بك، وتوحيدُك وطاعتُك- لِتَمحوَ بذلك ذُنوبَهم، وتتجاوَزَ عن مؤاخَذتِهم بها؛ جَعَلوا أصابِعَهم في آذانِهم، فسَدُّوها؛ كي لا يَسمَعوا كَلامي.

وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ.

أي: وتغطَّوا بثيابِهِم لئَلَّا يَرَوني؛ مُبالَغةً منهم في الإعراضِ عَنِّي.(70)

وَأَصَرُّوا.

أي: واستَمَرُّوا على شِرْكِهم ولم يَتوبوا.

وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا.

أي: وتعاظَموا وتكبَّروا عن قَبولِ الحقِّ، وعن اتِّباعِه.

كما قال تعالى: فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ [هود: 27].

وقال سُبحانَه: قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ [الشعراء: 111].

ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8).

أي: ثُمَّ إنِّي دَعَوتُ قَومي إلى الحَقِّ بمَسمَعٍ منهم، مجاهِرًا بالدَّعوةِ.

---

(70) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤١٧) أنّ قوله تعالى: ﴿جعلوا أصــابعهم في آذانهم﴾ يحتمل أن يكون حقيقة، ويحتمل أن يكون عبارة عن إعراضهم، وشِدّة رفضهم لأقواله.

ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤١٧) أنّ قوله تعالى: ﴿واسـتغشـوا ثيابهم﴾ يحتمل أن يكون حقيقة، ويحتمل أن يكون عبارة عن إعراضـهم، وشِدّة رفضهم لأقواله.

ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9).

ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ.

أي: ثمَّ إنِّي أظهَرتُ دَعوتي لهم، وأشَعْتُها ونشَرْتُها بيْنَهم.

وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا.

أي: ودَعَوتُهم سِرًّا فيما بيْني وبيْنَهم في الخَفاءِ.

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10).

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ.

أي: فقُلْتُ لهم: اطلُبوا مِن رَبِّكم أن يَغفِرَ لكم ذُنوبَكم، فيَمحوَها عنكم، ويَتجاوَزَ عن مؤاخَذتِكم بها.

إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا.

أي: إنَّ اللهَ متَّصِفٌ أزَلًا وأبدًا بكَمالِ المَغفِرةِ لذُنوبِ عِبادِه.

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11).

أي: فإنَّكم إنِ استَغْفَرْتُم رَبَّكم يُرسِلْ عليكم أمطارًا مُتتابِعةً مُتواصِلةً.

كما قال هودٌ عليه السَّلامُ لقومِه: وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ [هود: 52].

وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12).

وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ.

أي: ويُعْطِكم رَبُّكم أموالًا وأبناءً، ويُكَثِّرْ ذلك لكم.

وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ.

أي: ويجعَلْ لكم في الدُّنيا بساتينَ فيها أنواعُ الثِّمارِ.

وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا.

أي: ويجعَلْ لكم أنهارًا جاريةً.

كما قال تعالى: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ [الأعراف: 96].

وقال سُبحانَه: وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ [هود: 3].

وقال عزَّ وجَلَّ: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ [النحل: 30].

وقال تبارك وتعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً [النحل: 97].

وقال جَلَّ شأنُه: وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا [الجن: 16].

سورةُ نوحٍ

الآيات (13–20)

مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (15) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (16) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (18) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (19) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (20)

غريب الكلمات:

وَقَارًا: أي: عَظَمةً مُقتَضِيةً للإجلالِ، وأصلُ (وقر): يدُلُّ على ثِقلٍ في الشَّيءِ.

أَطْوَارًا: أي: تاراتٍ، حالًا بَعْدَ حالٍ؛ نُطفةً، ثمَّ عَلَقةً، ثمَّ مُضْغةً، إلى تمامِ الخَلقِ، وأصلُ (طور): يدُلُّ على امتِدادٍ في شَيءٍ مِن مكانٍ أو زمانٍ.

طِبَاقًا: أي: مُتَطابِقةً بَعضُها فَوقَ بَعضٍ، والمُطابَقةُ: أن تَجعَلَ الشَّيءَ فَوقَ آخَرَ بقَدْرِه، وأصلُ (طبق): يدُلُّ على وَضعِ شَيءٍ مَبسوطٍ على مِثْلِه حتَّى يُغطِّيَه.

بِسَاطًا: أي: مَبسوطةً، مُتَّسِعةً، مُمَهَّدةً كالفِراشِ، وأصلُ (بسط): يدُلُّ على امتِدادِ الشَّيءِ.

فِجَاجًا: أي: مَسالِكَ وطُرُقًا، الواحِدُ فَجٌّ، والفَجُّ: الطَّريقُ الواسِعُ، وكلُّ فَتحٍ بيْنَ جَبَلينِ أو شَيئَينِ، وأصلُ (فجج): يدُلُّ على تفتُّحٍ وانفِراجٍ.

تفسير الآيات:

مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13).

أي: قال نوحٌ لِقَومِه مُعاتِبًا لهم على كُفْرِهم: ما لَكم لا تُعَظِّمونَ اللهَ تعالى حقَّ عَظَمتِه؛ فتُوحِّدوه وتُطيعوه؟![71]

وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14).

---

(71) اختُلف في المراد بقوله: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾ على أقوال: الأول: ما لكم لا ترون لله عَظمة.

الثاني: لا تُعظّمون الله حَقّ عَظمته.

الثالث: لا تَرجُون لله طاعة.

الرابع: لا تَرجُون لله عاقبة.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٣/ ٢٧٩) –مستندًا إلى اللغة– القول الأخير الذي قاله ابن عباس، وسعيد بن جُبَير، وقتادة، وعاصم بن بهدلة، ومقاتل، والكلبي، فقال: «وذلك أنّ الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الجحد في موضع الخوف، كما قال أبو ذُؤيب:

إذا لَسَعتْه النّحل لم يرجُ لسْعها وخالفها في بيت نُوبٍ عوامل

يعني بقوله: لم يَرجُ: لم يخف».

وعلَّق ابنُ عطية (٨/ ٤١٨ – ٤١٩) على القول الأخير بقوله: «فكأن الكلام على هذا وعيد وتخويف».

وذكر أنّ بعض العلماء قال: ﴿تَرْجُونَ﴾ على بابها في الرجاء.

وعلَّق عليه بقوله: «وكأنه قال: ما لكم لا تجعلون رجاءكم لله ولقائه، و﴿وقارًا﴾ يكون –على هذا التأويل– منهم، كأنه يقول: تُؤَدَةً منكم، وتمكّنًا في النظر؛ لأنّ الكفر مُضمّنه الخِفّة والطيش وركوب الرأس».

وساق ابنُ القيم (٣/ ٢٠٣) هذه الأقوال، ثم علّق بقوله: «وهذه الأقوال ترجع إلى معنًى واحد، وهو: أنهم لو عظّموا الله وعرفوا حقّ طاعته وحّدوه وأطاعوه وشكروه، فطاعته سبحانه واجتناب معاصيه والحياء منه بحسب وقاره في القلب».

أي: كيف تَتركون تَعظيمَ اللهِ تعالى وإجلالَه، وقد جَعَل لكم في أنفُسِكم آيةً تدُلُّ على توحيدِه، وتَحمِلُ على تَعظيمِه، وهي خلْقُه إيَّاكم حالًا بعدَ حالٍ، فكُنتم نُطفةً، ثمَّ عَلَقةً، ثمَّ مُضغةً، إلى تمامِ خَلْقِكم؟!

كما قال الله تبارك وتعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [المؤمنون: 12 – 14].

وقال سُبحانَه: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً [الروم: 54].

وقال عزَّ وجلَّ: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [غافر: 67].

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (15).

أي: قال نوحٌ لِقَومِه: ألَم تَرَوا كيف خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَواتٍ بَعضُها فوقَ بَعضٍ؛ فتَستَدِلُّوا بذلك على كَمالِ قُدرةِ اللهِ، واستِحقاقِه للعبادةِ دونَ ما سِواه؟!

وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (16).

وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا.

أي: وجَعَلَ اللهُ القَمَرَ في السَّمَواتِ السَّبعِ نُورًا.

كما قال تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا [الفرقان: 61].

وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا.

أي: وجعل اللهُ الشَّمسَ مِصباحًا مُضيئًا.

كما قال تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا [يونس: 5].

وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (17).

أي: واللهُ ابتدَأَ خَلْقَ أَبيكم آدَمَ مِن تُرابِ الأرضِ، فأصلُ نَشأتِكم منها.

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (18).

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا.

أي: ثمَّ يُعيدُكم اللهُ في الأرضِ بعْدَ مَوتِكم، فتُدفَنونَ فيها، وتَصيرونَ تُرابًا كما كُنتُم قبْلَ خَلْقِكم.

وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا.

أي: ويُخرِجُكم اللهُ مِنَ الأرضِ يومَ القيامةِ للحِسابِ والجزاءِ، فتَخرُجونَ مِن قُبورِكم أحياءً.

كما قال تعالى: مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى [طه: 55].

وقال سُبحانَه: ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ [عبس: 22].

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (19).

أي: واللهُ جعَل لكم الأرضَ مَبسوطةً ممهَّدةً كالفِراشِ.

كما قال تعالى: الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا [البقرة: 22].

وقال سُبحانَه: الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا [الزخرف: 10].

لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (20).

أي: لتتَّخِذوا منها طُرُقًا واسِعةً سَهلةً مُيَسَّرةً للسَّيرِ فيها.

كما قال تعالى: وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [الزخرف: 10].

وقال الله سُبحانَه وتعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا [الملك: 15].

سورةُ نوحٍ

الآيات (21–25)

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (21) وَمَكَرُوا مَكْرًا
كُبَّارًا (22) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا
(23) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (24) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا
نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (25)

غريب الكلمات:

خَسَارًا: أي: خُسْرانًا، والخُسْرانُ فى البيعِ: انتِقاصُ رأسِ المالِ، وأصلُ (خَسِرَ): يدُلُّ على النَّقصِ.

كُبَّارًا: أي: كَبيرًا عَظيمًا، يُقالُ: كَبِيرٌ، وكُبَارٌ: بالتَّخفيفِ، وكُبَّارٌ: بالتَّشديدِ؛ كُلُّها بمعنًى واحِدٍ، وأصلُ (كبر): يدُلُّ على خِلافِ الصِّغَرِ.

لَا تَذَرُنَّ: أي: لا تَدَعُنَّ، فهو بوَزْنِ وَدَعَ الشَّيءَ يَدَعُه وَدْعًا، ومَعْناه، والمُضارِعُ منه: يَذَرُ، والأمْرُ منه: ذَرْ، ولم يَرِدْ في اللُّغةِ استِعْمالُ ماضِيه ولا مَصْدَرِه، وهو بمعنَى التَّرْكِ والإهمالِ.

تفسير الآيات:

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (21).

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي.

أي: قال نُوحٌ: ربِّ إنَّ قَومي خالَفوا ما أمَرْتُهم به، ورَدُّوا ما دعَوتُهم إليه، فلم يتَّبِعوني على الحَقِّ.

كما قال تعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ [القمر: 9، 10].

وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا.

أي: واتَّبَعوا على الباطِلِ أبناءَ الدُّنيا الَّذين لم تَزِدْهم كَثرةُ أموالِهم وأولادِهم إلَّا هَلاكًا وبُعْدًا مِن اللهِ، وضَلالًا عن الحَقِّ.

وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (22).

أي: ومَكَروا مكرًا كبيرًا جدًّا بنوحٍ والَّذينَ آمَنوا معه.

كما قال تعالى: وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ [إبراهيم: 46].

وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23).

وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ.

أي: وقال بعضُهم لبَعضٍ: لا تَترُكوا أصنامَكم الَّتي يَنهاكم نوحٌ عن عبادتِها!

وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا.

أي: ولا تَترُكوا عِبادةَ الصَّالِحِينَ: وَدٍّ، وسُواعٍ، ويَغُوثَ، ويعوقَ، ونَسرٍ!

قال عَطاءٌ: عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما: (صارت الأوثانُ الَّتي كانت في قَومِ نوحٍ في العَرَبِ بَعْدُ؛ أمَّا وَدٌّ كانت لكَلبٍ بدَومةِ الجَنْدلِ، وأمَّا سُواعٌ كانت لهُذَيلٍ، وأمَّا يَغُوثُ فكانت لِمُرادٍ، ثمَّ لبَني غُطَيفٍ بالجَوفِ عندَ سَبَإٍ، وأمَّا يعوقُ فكانت لهَمْدانَ، وأمَّا نَسْرٌ فكانت لِحِمْيَرٍ؛ لآلِ ذي الكَلاعِ؛ أسماءُ رِجالٍ صالحِينَ مِن قَومِ نُوحٍ، فلمَّا هَلَكوا أوحى الشَّيطانُ إلى قَومِهم: أنِ انصِبوا إلى مجالِسِهم الَّتي كانوا يَجلِسونَ أنصابًا، وسَمُّوها بأسمائِهم، ففعَلوا، فلم تُعبَدْ، حتَّى إذا هلَكَ أولئك، وتنَسَّخَ العِلمُ،[72] عُبِدَت!).[73]

---

(72) وتنَسَّخَ: أي: تغيَّرَ العِلمُ بها، وزالت المعرفةُ بحالِها.
يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقَسْطَلَّاني (401/7).
وفي رواية أبي ذَرٍّ والكُشْمِيهَني: (ونُسِخ العِلمُ)، أي: عِلمُ تلك الصُّوَرِ بخُصوصِها.
يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (669/8).
(73) رواه البخاري (4920).

وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (24).

وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا.

أي: وقد أضلُّوا كثيرًا مِنَ النَّاسِ عن طَريقِ الحَقّ.

كما قال تعالى حكايةً عن دُعاءِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ [إبراهيم: 35، 36].

وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا.

أي: ولا تَزِدْ هؤلاءِ الظَّالِمينَ بالشِّركِ والكُفرِ والتَّكذيبِ إلَّا ضَلالًا عن الحَقِّ؛ حتَّى يموتوا على ضلالِهم، ويَزدادوا إثمًا وعُقوبةً على باطِلِهم.

كما قال تعالى: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ [آل عمران: 178].

وقال سُبحانَه: قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا [مريم: 75].

وقال عزَّ وجلَّ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [الأحقاف: 10].

مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (25).

مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا.

أي: بسَبَبِ ذُنوبِهم أغرَقَهم اللهُ، فأُدخِلوا نارًا يُعذَّبونَ فيها.

كما قال تعالى: وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ [الأنبياء: 77].

وقال سُبحانَه: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ [العنكبوت: 14].

فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا.

أي: فلم يَجِدْ قَومُ نوحٍ حينَ أُغرِقوا وأُدخِلوا النَّارَ أعوانًا ومُغيثِينَ ينصُرونَهم، ويمنَعونَ عنهم عذابَ اللهِ.

كما قال تعالى حاكيًا قولَ ابنِ نوحٍ: قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ [هود: 43].

سورةُ نوحٍ

الآيات (26–28)

وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (27) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (28)

غريب الكلمات:

دَيَّارًا: أي: أحَدًا يَدورُ فيها، وهو مِن ألفاظِ العُمومِ الَّتي تُستَعمَلُ في النَّفيِ العامِّ، وهو فَيْعالٌ مِنَ الدَّوَرانِ، وقيل: مِن الدَّارِ، أي: نازِلَ دارٍ، وأصلُ (دور): يدُلُّ على إحداقِ الشَّيءِ بالشَّيءِ مِن حوالَيه.

تَبَارًا: أي: هَلاكًا وخُسرانًا، وأصلُ (تبر) هنا: الهلاكُ.

تفسير الآيات:

وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26).

أي: وقال نوحٌ: رَبِّ لا تُبْقِ على الأرضِ أحَدًا حيًّا مِنَ الكافِرينَ.

كما قال تعالى: وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ [الأنبياء: 76].

إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (27).

إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ.

أي: إنَّك إنْ أبقَيْتَهم أحياءً يُضِلُّوا عِبادَك المؤمِنينَ، فيَصُدُّوهم عن الحَقِّ، ويُزَيِّنوا لهم الباطِلَ.

وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا.

أي: ولا يَلِدوا إلَّا مَن سيَكونُ فاجِرًا شديدَ الفَسادِ، وكثيرَ الكُفرِ بربِّه.

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (28).

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ.

أي: وقال نوحٌ: رَبِّ امْحُ الذُّنوبَ عنِّي وعن والِدَيَّ، واسْتُرْها علينا، ولا تُؤاخِذْنا بها.

وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا.

أي: واغفِرْ لِمَن دَخَل مَنزِلي مِنَ المُؤمنينَ.

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

أي: واغفِرْ ذُنوبَ جَميعِ المُؤمنينَ والمؤمناتِ.

وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا.

أي: ولا تَزِدِ الظَّالِمِينَ أنفسَهم بكُفرِهم إلَّا هَلاكًا.

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الجِنِّ

سورةُ الجِنّ

سورةُ الجِنّ

سُمِّيَتْ هذه السُّورةُ بسُورةِ (الجِنِّ).[74]

سُورةُ الجِنِّ مكِّيَّةٌ، ونقَلَ الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المفسِّرينَ.[75]

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ:

ذِكرُ ما يتَّصِلُ بخبرِ الجِنِّ، واستِماعِهم القرآنَ، وما كان مِن مَردودِ ذلك عليهم، وما للمُستَجِيبينَ لأمرِ الله والمُعرِضينَ عنه.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- سَماعُ جَماعةٍ مِن الجِنِّ للقرآنِ، وإيمانُهم به، وحِكايةُ ما صَدرَ منهم مِن أقوالٍ.

---

(74) سُمِّيت هذه السُّورةُ سورةَ الجِنّ؛ لاشتِمالِها على خبَرِ الجِنّ وذِكرِ أحْوالِهم.
يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/484).

(75) ممَّن نقَلَ الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّةَ، وابنُ الجَوزيّ، والقرطبيُّ، والبِقاعي.
يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (5/349)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/346)، ((تفسير القرطبي)) (19/1)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (3/126).

2- استِراقُ الجِنِّ للسَّمعِ، ثمَّ مَنْعُهم مِن ذلك.

3- ذِكرُ انقِسامِ الجِنِّ إلى صالِحِينَ وغيرِ صالِحِينَ.

4- جَزاءُ المُستقيمينَ على أمْرِ اللهِ والمُعْرِضينَ عنه.

5- ذِكرُ ما أُمِرَ النَّبيُّ - ﷺ - بتَبْليغِه.

6- ذِكرُ اختِصاصِ اللهِ بعِلمِ الغَيبِ.

سورةُ الجِنِّ

الآيات (1–7)

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ
فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (3) وَأَنَّهُ
كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (4) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
(5) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا
ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (7)

غريب الكلمات:

نَفَرٌ: أي: جماعةٌ ما بيْنَ الثَّلاثةِ إلى العَشَرةِ، والنَّفَرُ: اسْمُ جَمْعٍ، يَقَعُ على جماعةٍ مِن الرِّجالِ خاصَّةً، ولا واحدَ له مِن لَفظِه. والنَّفْرُ: الانْزِعاجُ عن الشَّيءِ وإلى الشَّيءِ، كالفَزَعِ إلى الشَّيءِ وعن الشَّيءِ، والنَّفرُ والنَّفيرُ والنَّفَرَةُ: عِدَّةُ رِجالٍ يُمْكِنُهم النَّفْرُ.

جَدُّ: أي: عَظَمةُ وجلالُ، وأصلُ (جدد) هنا: يدُلُّ على العَظَمةِ.

سَفِيهُنَا: أي: إبليسُ أو مَرَدةُ الجِنِّ، أو جاهِلُنا، والسَّفَهُ: الخِفَّةُ، والجهلُ، والسَّفيهُ: الخفيفُ العَقلِ، وأصلُ (سفه): يدُلُّ على خِفَّةٍ وسَخافةٍ.

شَطَطًا: أي: كَذِبًا وجَوْرًا، ومعنى الشَّطَطِ في اللُّغةِ: مُجاوَزةُ القَدْرِ، وأصلُ (شطط): يدُلُّ على الإفراطِ في البُعدِ والمَيلِ.

يَعُوذُونَ: أي: يَلجَؤُونَ ويَستَجيرونَ. والعَوذُ: الالتِجاءُ إلى الغَيرِ، والتَّعَلُّقُ به، وأصلُ (عوذ): يدُلُّ على الالتِجاءِ إلى الشَّيءِ.

رَهَقًا: أي: ضَلالًا وإثْمًا وظُلْمًا، والرَّهَقُ: الإثمُ وغِشْيانُ المَحارمِ، وأصلُ (رهق) هنا: يدُلُّ على غِشْيانِ الشَّيءِ الشَّيءَ.

تفسير الآيات:

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1).

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ.

سَبَبُ النُّزولِ:

عن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((انطلَقَ النَّبيُّ – ﷺ – في طائفةٍ مِن أصحابِه عامِدينَ إلى سُوقِ عُكاظٍ، وقد حِيلَ بيْنَ الشَّياطينِ وبيْنَ خَبَرِ السَّماءِ، وأُرسلَت عليهم الشُّهُبُ، فرجَعَت الشَّياطينُ إلى قَومِهم، فقالوا: ما لَكم؟! فقالوا: حِيلَ بيْننا وبيْنَ خبرِ السَّماءِ، وأُرسِلَت علينا الشُّهُبُ! قالوا: ما حالَ بيْنَكم وبيْنَ خبرِ السَّماءِ إلَّا شَيءٌ حدَث؛ فاضرِبوا مَشارِقَ الأرضِ ومَغارِبَها، فانظُروا ما هذا الَّذي حالَ بيْنَكم وبيْنَ خبرِ السَّماءِ؟! فانصرَف أولئك الَّذين توجَّهوا نحوَ تِهامةَ إلى النَّبيِّ – ﷺ – وهو بنَخْلةَ عامِدينَ إلى سوقِ عُكاظٍ، وهو يُصلِّي بأصحابِه صلاةَ الفَجرِ، فلمَّا سَمِعوا القرآنَ استَمَعوا له، فقالوا: هذا –واللهِ– الَّذي حال بيْنَكم وبيْنَ خبرِ السَّماءِ، فهنالك حينَ رَجَعوا إلى قومِهم، وقالوا: يا قومَنا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا [الجن: 1،

2]، فأنزل اللهُ على نبيّه – ﷺ –: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ، وإنَّما أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الجِنِّ)).[76]

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ.

أي: قُلْ –يا مُحَمَّدُ –: أوحَى اللهُ إليَّ أنَّه استمَعَ جماعةٌ مِن الجِنِّ للقُرآنِ.

فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا.

أي: فقال أولئك النَّفَرُ مِنَ الجِنّ: إنَّا سَمِعْنا قرآنًا عجيبًا بديعًا خارِجًا عن العادةِ، فلا حديثَ مِثلُه.

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2).

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ.

أي: قالوا: وهذا القُرآنُ يدُلُّ على الحَقّ والخَيرِ والصَّوابِ والهُدى، فآمَنَّا به.

كما قال تعالى: هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ [الإسراء: 9].

وقال سُبحانَه: قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ [الأحقاف: 30].

(76) رواه البخاريُّ (773) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (449).

وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا.

أي: ولن نَجعَلَ أحَدًا مِن خَلْقِه شَريكًا له.

وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (3).

وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا.

أي: وأنَّه تعالَت عَظَمةُ ربِّنا وجَلالُه.[77]

---

(77) اختُلف في معنى: ﴿وَأَنَّهُ تَعالَى جَدُّ رَبِّنا﴾ في هذه الآية على أقوال: الأول: تعالى أمْر ربِّنا وسلطانه وقدرته.

الثاني: عظمة ربِّنا.

الثالث: جلال ربِّنا.

الرابع: ذِكْرُه.

الخامس: الجَد الذي هو أبو الأب، وقالوا: كان ذلك جَهْلةً مِن كلام الجنّ.

السادس: غِنى ربِّنا.

ووجَّه ابنُ عطية (٨/ ٤٢٦) القولَ السادس بقوله: «فهذا هو من الجَدّ الذي قال فيه رسول الله - ﷺ -: «ولا ينفع ذا الجَد منك الجَد»».

وعلَّق على القول الثاني والثالث والرابع بقوله: «وهذا كلّه متَّجه؛ لأنّ الجَدّ هو حظّ المجدود من الخيرات والأوصاف الجميلة، وجَدُّ الله تعالى هو الحظّ الأكمل من السلطان القاهر والصفات العلية والعظمة، ومن هذا قول اليهودي حين قدم رسول الله - ﷺ - المدينة: يا بني قيلة، هذا جَدُّكم الذي تنتظرون.

أي: حظّكم من الخيرات وبختكم».

ورجَّح ابن جرير (٢٣/ ٣١٥) -مستندًا إلى لغة العرب، ودلالة العقل- القول الأول والثاني، وانتقد القول الخامس، فقال:

«وأَوْلى الأقوال في ذلك عندنا بالصَّواب قولُ مَن قال: عُنِيَ بذلك: تعالتْ عظمةُ ربِّنا وقُدْرتُه وسُلْطانُه.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن للجَدِّ في كلام العرب معنيين: أحدهما: الجَدُّ الذي هو أبو الأب، أو أبو الأُمّ.

وذلك غير جائزٍ أنْ يوصف به هؤلاء النّفر الذين وصفهم الله بهذه الصفة، وذلك أنهم قد قالوا: ﴿فَآمَنّا بِهِ ولَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أحَدًا﴾، ومَن وصف الله بأن له والدًا أو جدًّا -وهو أبو الأب أو أبو الأُمّ- فلا شكّ أنه من المشركين.

مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا.

أي: لم يتَّخِذِ اللهُ تعالى زَوجةً له، ولم يتَّخِذْ وَلَدًا.

كما قال تعالى: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الأنعام: 101].

وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (4).

أي: وأنَّه كان يقولُ جاهِلُنا –الملازِمُ للطَّيشِ والغَيِّ– على اللهِ كَذِبًا وجَورًا بعيدًا عن العَدلِ والصَّوابِ، ومِن ذلك ادِّعاءُ الشَّريكِ والزَّوجةِ والولَدِ لله سُبحانَه وتعالى.[78]

وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (5).

والمعنى الآخر: الجَدُّ الذي هو بمعنى الحظ؛ يقال: فلانٌ ذو جَدٍّ في هذا الأمْر: إذا كان له حظٌّ فيه، وهو الذي يقال له بالفارسية: البَخْت، وهذا المعنى الذي قصده هؤلاء النّفر من الجنّ بقيلهم: ﴿وأَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا﴾ إن شاء الله.

وإنما عَنَوا أنّ حُظْوَته مِن المُلك والسلطان والقدرة والعظمة عالية، فلا تكون له صاحبة ولا ولد؛ لأنّ الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطرُّه الشهوة الباعثة إلى اتخاذها له، وأنّ الولد إنما يكون عن شهوة أزعَجَتْه إلى البِضاع الذي يَحدث منه الولد، فقال النّفر من الجنّ: عَلا مُلك ربِّنا وسلطانه وقدرته وعظمته أنْ يكون ضعيفًا ضَعْفَ خَلْقه الذين تضْطَرُّهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة، أو وِقاع شيءٍ يكون منه ولد.

وقد بيَّن عن صحة ما قلنا في ذلك إخبار الله عنهم أنهم قالوا: ﴿ما اتَّخَذَ صاحِبَةً ولا ولَدًا﴾، فأَخبَرَ –جلَّ ثناؤه– أنهم إنما نزّهوا الله عن اتخاذ الصاحبة والولد بقوله: ﴿وأَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا ما اتَّخَذَ صاحِبَةً ولا ولَدًا﴾».

(78) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٢٨) قول جمهور المفسرين أنّ المقصود بـ «السفيه» في الآية: إبليس –لعنه الله–.

ثم نَقل قولًا ولم ينسبه: أنه «اسم جنس لكل سفيه منهم».

ثم علَّق عليه بقوله: «ولا محالة أنّ إبليس صدرٌ في السفهاء، وهذا القول أحسن».

أي: وأنَّا قبْلَ سَماعِنا للقُرآنِ وإيمانِنا باللهِ كُنَّا نَظُنُّ أنَّ الإنسَ والجِنَّ صادِقونَ في ادِّعاءاتِهم، وأنَّهم لن يَجْرُؤوا على الكَذِبِ على اللهِ تعالى، فيَدَّعُوا له الشَّريكَ والصَّاحِبةَ والوَلَدَ كَذِبًا وزُورًا!

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6).

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنّ.

أي: وأنَّه كان رجالٌ مِن الإنسِ إذا نَزَلوا مَنزِلًا يَستَعيذونَ ويَستَجيرونَ بعظيمِ ذلك المكانِ وسَيِّده مِنَ الجِنِّ؛ طلبًا للأمانِ والسَّلامةِ مِمَّا يخافونَ ويحذَرونَ!

فَزَادُوهُمْ رَهَقًا.

أي: فزاد الإنسُ الجِنَّ طُغْيانًا وكِبرًا حينَ رأَوُا الإنسَ يَستَعيذونَ بهم.[79]

---

(79) اختُلف في معنى: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ في هذه الآية على أقوال: الأول: فزاد الإنسُ الجنَّ باســتعاذتهم بعزيزهم جرأةً عليهم، وازدادوا هم بذلك إثمًا.

الثاني: أنّ الكفار ازدادوا بذلك طغيانًا.

الثالث: فزادوهم خوفًا.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٣/ ٣٢٦) –مستندًا إلى اللغة– أنّ المعنى: «فزاد الإنسُ الجنّ بفعلهم ذلك إثمًا».

ثم علَّل ذلك بقوله: «وذلك أنهم زادوهم استحلالًا لمحارم الله.

والرَّهَقُ في كلام العرب: الإثمُ، وغِشْيانُ المحارم».

ثمّ استشهد بقولِ الأعشى:

«لا شيءَ ينفعني من دون رؤيتها هل يشتفي وامقٌ ما لم يُصب رهقا

يقول: ما لم يغشَ مُحرّمًا».

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (7).

أي: وأنَّ كُفَّارَ الجِنِّ ظَنُّوا -كما ظَنَّ كُفَّارُ الإنسِ- أنَّ اللهَ لن يبعَثَ أحدًا يومَ القيامةِ للحِسابِ والجزاءِ.(80)

(80) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٢٩) في معنى: ﴿أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ احتمالين: «أحدهما: بعث الحشر من القبور». «والآخر: بعث آدميٍّ رسولًا».

سورةُ الجِنّ

الآيات (8–10)

وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (9) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (10)

غريب الكلمات:

وَشُهُبًا: أي: نارًا ساطِعةً مُحرِقةً يُرجَمُ بها مَن استرَق السَّمعَ، والشِّهابُ: الشُّعلةُ السَّاطِعةُ مِن النَّارِ المُوقَدةِ، وأصلُ (شهب): يدُلُّ على بياضٍ في شَيءٍ مِن سَوادٍ.

رَصَدًا: أي: أُرْصِدَ وأُعِدَّ له؛ لِيُرْمَى به، وهو فَعَلٌ بمعنى مَفعولٍ، وأصلُ (رصد): يدُلُّ على تهيُّؤٍ لرِقبةِ شَيءٍ.

تفسير الآيات:

وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8).

أي: وأنَّا أتَيْنا السَّماءَ لِنَستَمِعَ فيها بعضًا مِن أخبارِ الغَيبِ كما جرَت عادتُنا، فوجَدْناها مملوءةً بحُرَّاسٍ أشِدَّاءَ مِن الملائكةِ يحفَظونَها مِن الشَّياطينِ، ومملوءةً بشُهُبٍ تَرجُمُهم وتُحرِقُهم إن أرادوا استِراقَ السَّمعِ.

وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (9).

وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ.

أي: وأنَّا كُنَّا فيما مضَى نَقعُدُ في مواضِعَ مِنَ السَّماءِ؛ مِن أجْلِ استِماعِ بَعضِ ما تتحَدَّثُ به الملائِكةُ ممَّا هو كائِنٌ.

فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا.

أي: فمَنْ أراد مِن الشَّياطينِ الاستماعَ الآنَ لأخبارِ السَّماءِ، فإنَّه يُرمَى بشِهابٍ مِن نارٍ مُرصَدٍ له؛ لِمَنعِه مِنَ الاستِماعِ، أو إحراقِه.

كما قال تعالى: وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ [الحجر: 16 – 18].

وقال سُبحانَه: إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ [الصافات: 6 – 10].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضي اللهُ عنه، قال: إنَّ نبيَّ اللهِ – ﷺ – قال: ((إذا قضَى اللهُ الأمرَ في السَّماءِ ضَرَبت الملائِكةُ بأجنِحَتِها خُضْعانًا لِقَولِه، كأنَّه سِلسلةٌ على صَفوانٍ،[81] فإذا فُزِّعَ[82] عن قُلوبِهم قالوا: ماذا قال ربُّكم؟ قالوا للَّذي قال: الحَقَّ، وهو العَليُّ الكبيرُ، فيَسمَعُها مُستَرِقُ السَّمعِ، ومُستَرِقُ السَّمعِ هكذا بعضُه فوقَ بَعضٍ –ووصَفَ سُفيانُ بكَفِّه فحَرَفَها وبَدَّد بيْنَ أصابِعِه– فيسمَعُ الكَلِمةَ فيُلْقيها إلى مَن تحتَه، ثمَّ يُلقيها الآخَرُ إلى مَن تحتَه، حتَّى يُلقيَها على لسانِ السَّاحِرِ أو الكاهِنِ، فرُبَّما أدرك الشِّهابُ قبْلَ أن يُلقِيَها، ورُبَّما ألْقاها قبْلَ أن يُدرِكَه، فيَكذِبُ معها مِئةَ كَذْبةٍ، فيُقالُ: أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا: كذا وكذا؟! فيُصَدَّقُ بتلك الكَلِمةِ التي سَمِعَ مِنَ السَّماءِ)).[83]

وعن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها، قالت: ((سَأل أُناسٌ رَسولَ اللهِ – ﷺ – عن الكُهَّانِ، فقال لهم رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ليسُوا بشَيءٍ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، فإنَّهم يحَدِّثونَ أحيانًا بالشَّيءِ يكونُ حَقًّا! فقال رسولُ

---

(81) صَفوانٍ: هو الحَجَرُ الأملَسُ.

يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقسطلاني (192/7).

(82) فُزِّعَ أي: أُزيلَ الخَوفُ.

يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقسطلاني (192/7).

(83) رواه البخاري (4800).

الله – ﷺ –: تلك الكَلِمةُ مِنَ الحقّ يَخطَفُها الجِنّيُّ، فيَقُرُّها في أذُنِ وليّه قَرَّ الدَّجاجةِ،[84] فيَخلِطون فيها أكثرَ مِن مِئةِ كَذْبةٍ)).[85]

وعن عائشةَ رَضيَ الله عنها، أنَّها سَمِعَت رسولَ الله – ﷺ – يقولُ: ((إنَّ الملائِكةَ تنزِلُ في العَنانِ – وهو السَّحابُ–، فتذكُرُ الأمرَ قُضِيَ في السَّماءِ، فتَستَرِقُ الشَّياطينُ السَّمعَ فتَسمَعُه، فتُوحيه إلى الكُهَّانِ، فيَكذِبون معها مِئةَ كَذبةٍ مِن عندِ أنفُسِهم)).[86]

وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (10).

أي: وأنَّا لا نَدري الغايةَ مِن وَراءِ حِراسةِ السَّماءِ بالملائِكةِ والشُّهُبِ: أهي إنزالُ عذابٍ بأهلِ الأرضِ، أمْ أرادَ ربُّهم بهم هُدًى وخَيرًا وصَلاحًا؟[87]

---

(84) القَرُّ: ترديدُك الكلامَ في أذُنِ المخاطَبِ حتى يفهَمَه، وقَرُّ الدجاجةِ: صَوتُها إذا قطَّعَتْه.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (4/39).

(85) رواه البخاري (6213) واللفظ له، ومسلم (2228).

(86) رواه البخاري (3210).

(87) اختُلف في معنى: ﴿وأنّا لا نَدْري أشَرٌّ أُريدَ بِمَن في الأَرْضِ أمْ أرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ على قولين: الأول: أنهم لا يَدرون أبعث الله محمدًا ليؤمنوا به ويكون ذلك منهم رَشدًا ولهم ثوابًا، أم يَكفروا به فيكون ذلك منهم شرًّا وعليهم عقابًا.
الثاني: أنهم لا يَدرون حِراسة السماء بالشُّهب هل عذاب يريد الله أن يُنزله بأهل الأرض، أم نبي مُرشِد.
ورجَّح ابنُ جرير (٢٣/ ٣٢٩) –مستندًا إلى السياق– القول الثاني، وهو قول ابن زيد، وعلَّل ذلك بقوله: «لأنّ قوله: ﴿وأنّا لا نَدْري أشَرٌّ أُريدَ بِمَن في الأَرْضِ﴾ عقيبَ قوله: ﴿وأنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ الآية، فكان ذلك بأن يكون مِن تمام قصة ما وليَه وقرُب منه أولى بأن يكون من تمام خبر ما بَعُدَ منه».

سورةُ الجِنّ

الآيات (11–13)

وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (11) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (12) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (13)

غريب الكلمات:

طَرَائِقَ قِدَدًا: أي: أصنافًا وضروبًا وفِرَقًا مُختَلِفةً، والطَّرائِقُ جمعُ طَريقةٍ، وهي طَريقةُ الرَّجُلِ ومَذْهَبُه، والقِدَدُ هي الضُّروبُ والأجناسُ المُختَلِفةُ، جمع قِدَّةٍ: وهي القِطعةُ مِن الشَّيءِ، يُقالُ: صَار القَومُ قِدَدًا: إذا تفرَّقَت أحوالُهم وأهواؤُهم، وقيل: القِدَدُ نحوُ الطَّرائِقِ، وهو تأكيدٌ لها هاهنا، يُقالُ لكُلِّ طَريقةٍ: قِدَّةٌ، والطَّرِيقُ: السَّبيلُ الَّذي يُطْرَقُ بالأرجُلِ، ثمَّ استُعمِلَ في كلِّ مَسلَكٍ يَسلُكُه الإنسانُ في فِعْلٍ، محمودًا كان أو مذمومًا، وأصلُ (قدد): يدُلُّ على قَطعِ الشَّيءِ طُولًا.

بَخْسًا: أي: نَقْصًا مِن عَمَلِه وثَوابِه، وأصلُ (بخس): يدُلُّ على نَقصٍ.

رَهَقًا: أي: ظُلْمًا أو مَكروهًا يَغْشاه، وأصلُ (رهق): يدُلُّ على غِشيانِ الشَّيءِ الشَّيءَ.

تفسير الآيات:

وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا.

وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ.

أي: وأنَّا مِنَّا المُطيعونَ للهِ، ومِنَّا مَنْ هم دُونَهم.

كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا.

أي: كنَّا مَذاهِبَ مُتعَدِّدةً، وآراءً مُتفرِّقةً، وأهواءً مختلِفةً.

وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (12).

أي: وأنَّا عَلِمْنا يقينًا أنَّنا في سُلطانِ اللهِ وقَبضتِه وتحتَ قُدرتِه، فلا يُمكِنُنا الإفلاتُ منه في الأرضِ والنَّجاةُ مِن السُّوءِ والعذابِ إذا أراده بنا، وإنْ هَرَبْنا منه لم نَنْجُ، فلَنْ نُعجِزَه إنْ طَلَبَنا.

وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (13).

وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ.

أي: وأنَّا لَمَّا سَمِعْنا القُرآنَ الَّذي يَهدِي إلى الحَقّ، آمَنَّا به دونَ تردُّدٍ.

فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا.

أي: فمَن يؤمِنْ بربّه فلا يخافُ أن يَنقُصَ اللهُ شَيئًا مِن حَسَناتِه، ولا أن يَزيدَ شيئًا في سيِّئاتِه.(88)

كما قال تعالى: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا [طه: 112].

(88) ممَّن ذهب إلى القولِ المذكورِ في قولِه تعالى: فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا: ابنُ جرير، ومكِّي، والسمعاني، وابن القيم، والشوكاني.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (23/331)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (12/7770)، ((تفسير السمعاني)) (6/68)، ((طريق الهجرتين وباب السعادتين)) لابن القيم (ص: 424)، ((تفسير الشوكاني)) (5/368).

قال ابن كثير: (فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا قال ابنُ عبَّاسٍ، وقَتادةُ، وغيرُهما: فلا يخافُ أن ينقصَ مِن حسناتِه، أو يُحمَلَ عليه غيرُ سيِّئاتِه، كما قال تعالى: فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا [طه: 112]).

((تفسير ابن كثير)) (8/242).

وقال الشوكاني: (فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا أي: لا يخافُ نقصًا في عمَلِه وثَوابِه، ولا ظُلمًا ومكروهًا يَغشاه، والبَخْسُ: النُّقصانُ، والرَّهَقُ: العُدوانُ والطُّغيانُ، والمعنى: لا يخافُ أن ينقصَ مِن حسناتِه، ولا أن يُزادَ في سيِّئاتِه).

((تفسير الشوكاني)) (5/368).

وقال الواحدي: (وَلَا رَهَقًا ظُلْمًا، بأن يَذهَبَ عمَلُه كلُّه.

قاله الكلبيُّ ومقاتلٌ.

وقال عطاءٌ: رَهَقًا: عذابًا.

قال المُبَرِّدُ: البَخسُ: الظُّلمُ، والرَّهَقُ: ما يَغشاه مِن المكروهِ، فيَدخُلُ فيه العذابُ، ونُقصانُ الحسناتِ والثَّوابِ).

((البسيط)) (22/305).

ويُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (4/463).

وقال السعدي: (فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا، أي: لا نَقْصًا، ولا طُغيانًا، ولا أذًى يَلحَقُه).

((تفسير السعدي)) (ص: 890).

سورةُ الجِنّ

الآيات (14–17)

وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (14) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (15) وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (16) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (17)

غريب الكلمات:

الْقَاسِطُونَ: أي: الظَّالِمونَ الَّذين كفَروا، العادِلُونَ عن الحَقِّ إلى الباطِلِ، يُقالُ: قَسَط: أي: جارَ. وأقسَطَ: إذا عَدَلَ، والقَسْطُ -بفتحِ القافِ-: الجَورُ، والقُسوطُ: العُدولُ عن الحَقّ.

تَحَرَّوْا: أي: توخَّوا وقَصَدوا، والتَّحَرّي: القَصدُ للشَّيءِ، مِن قَولِهم: ذلك أحْرَى، أي: أحَقُّ وأقرَبُ، وأصلُه يدُلُّ على القُربِ والقَصدِ.

رَشَدًا: الرَّشَدُ والرُّشْدُ: نقيضُ الضَّلالِ، وهو الاهتِداءُ والدَّيمومةُ عليه، وأصلُ (رشد): يدُلُّ على استِقامةِ الطَّريقِ.

حَطَبًا: أي: وَقودًا للنَّارِ، وأصلُ (حطب): يدُلُّ على وَقودٍ.

غَدَقًا: أي: كثيرًا غزيرًا، يُقالُ: غَدِقَت العَينُ تَغدَقُ، فهي غَدِقةٌ: إذا كَثُرَ ماؤُها، وأصلُ (غدق): يدُلُّ على غُزْرٍ وكَثرةٍ.

لِنَفْتِنَهُمْ: أي: لِنَختَبِرَهم، والفِتنةُ في الأصلِ: الاختِبارُ، والابتلاءُ، مأخوذةٌ مِن الفَتْنِ: وهو إدخالُ الذَّهبِ النَّارَ؛ لِتَظهَرَ جَودتُه مِن رداءَتِه.

يَسْلُكْهُ: أي: يُدْخِلْه، والسُّلوكُ: النَّفاذُ في الطَّريقِ، يُقالُ: سَلَكْتُ الطَّريقَ أسْلُكُه. وسَلَكْتُ الشَّيءَ في الشَّيءِ: أنْفَذْتُه، وأصلُ (نفذ): يدُلُّ على نُفوذِ شيءٍ في شيءٍ.

صَعَدًا: أي: شَديدًا شاقًّا، والصَّعَدُ: المشَقَّةُ، تقولُ: تصَعَّدَني الأمرُ: إذا شَقَّ عليك، وهو مَصدَرُ صَعِدَ، يُقالُ: صَعِدَ صَعَدًا وصُعودًا، فوُصِفَ به العَذابُ؛ لأنَّه يتصَعَّدُ المعَذَّبَ، أي: يَعْلوه ويَغلِبُه فلا يُطيقُه، وأصلُ (صعد): يدُلُّ على ارتفاعٍ ومشَقَّةٍ.

تفسير الآيات:

وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (14).

وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ.

أي: وأنَّا مِنَّا المُسلِمونَ المُطيعونَ لله، السَّائِرونَ على صِراطِه المستقيم، ومِنَّا الجائِرونَ العادِلونَ عن طريقِ الحقِّ القَويمِ.

فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا.

أي: فمَنْ أسلَمَ للهِ تعالى بالتَّوحيدِ، وخَضَع له بالطَّاعةِ؛ فأولئك الَّذين توَخَّوا وقصَدُوا الحَقَّ والصَّوابَ، وسَلَكوا طريقَه الموصِلَ إلى الجنَّةِ.

وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (15).

أي: وأمَّا الجائِرونَ عن الإسلامِ، العادِلونَ باللهِ تعالى غَيرَه؛ فكانوا وَقُودًا لجهنَّمَ، تتوقَّدُ بهم؛ جزاءً على أعمالِهم.

كما قال تعالى: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ [الأعراف: 179].

وقال سُبحانَه: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ [الأنبياء: 98].

وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (16).

أي: وأنْ لو عدَلَ الظَّالِمونَ إلى طريقِ الصَّوابِ، واستقاموا على طريقةِ الحَقِّ، لَأَسْقَيْناهم ماءً كثيرًا غزيرًا عظيمَ النَّفعِ، نُكثِّرُ به الرِّزقَ، ونُزيِّنُ به الأرضَ، ونُرغِدُ به العَيشَ.(89)

كما قال تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ [المائدة: 66].

وقال سُبحانَه: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ [الأعراف: 96].

وقال عزَّ وجلَّ: فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا [هود: 112].

وقال سُبحانَه: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ [الطلاق: 2، 3].

---

(89) اختُلف في معنى: ﴿وأَلَّوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ في هذه الآية على قولين: الأول: طريقة الكفر.
الثاني: طريقة الهدى.
ووجَّه ابنُ عطية (٨/ ٤٣٣) القول الأول بقوله: «أي: لو كفر مَن أسلم مِن الناس لأَسقيناهم ماءً إملاءً لهم واستدراجًا».
ووجَّه القول الثاني بقوله: «والمعنى: على طريقة الإســلام والحق، وهذا المعنى نحو قوله تعالى: ﴿ولَوْ أنَّ أهْلَ الكِتابِ آمَنُوا واتَّقَوْا لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَــيِّئاتِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ولَوْ أنَّهُمْ أقامُوا التَّوْراةَ والإنْجِيلَ وما أُنْزِلَ إلَيْهِمْ مِن رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ ومِن تَحْتِ أرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]».
ثم رجَّح الثاني –مستندًا إلى اللغة، والعقل– بقوله: «وهذا القول أبْيَن؛ لأنَّ استعارة الاستقامة للكفر قلقة».

وقال تبارك وتعالى حكايةً عن نوحٍ عليه السَّلامُ: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا [نوح: 10 – 12].

وعن سُفيانَ بنِ عَبدِ اللهِ الثَّقفيِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قلتُ: يا رَسولَ اللهِ، قُلْ لي في الإسلامِ قَولًا لا أسألُ عنه أحدًا بَعْدَك. قال: قُلْ: آمَنْتُ باللهِ، فاستَقِمْ)).(90)

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (17).

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ.

أي: لِنَختَبِرَهم فيما وسَّعْنا عليهم مِنَ الرِّزقِ، فيَنكَشِفَ الشَّاكِرُ مِن غَيرِه، ويَظهَرَ مَن يَستَمِرُّ منهم على الهِدايةِ، ومَن يرتَدُّ إلى الغَوايةِ!

كما قال تعالى: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا [الكهف: 7، 8].

وقال عزَّ وجلَّ: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً [الأنبياء: 35].

وقال تبارك وتعالى: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ [التغابن: 15].

---

(90) رواه مسلم (38).

وعن عَمرِو بنِ عَوفٍ البَدْريِّ رَضِيَ الله عنه: أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((واللهِ ما الفَقرَ أَخشَى عليكم، ولكِنِّي أخشَى أن تُبسَطَ عليكم الدُّنيا كما بُسِطَت على مَن كان قَبْلَكم، فتَنافَسوها كما تَنافَسوها، وتُهلِكَكم كما أهلَكَتْهم!)).[91]

وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا.

أي: ومَن يُعرِضْ عن القُرآنِ –فلا يتَّبِعُه ولا يعمَلُ به–؛ يُدخِلْه اللهُ عَذابًا شَديدًا شاقًّا لا يُطيقُه.

كما قال تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ [السجدة: 22].

---

(91) رواه البخاري (4015)، ومسلم (2961).

سورةُ الجِنِّ

الآيات (18–24)

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (18) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا
يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (19) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (20) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ
ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (21) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (22) إِلَّا
بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (23)
حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (24)

غريب الكلمات:

لِبَدًا: أي: جماعاتٍ بَعضُها فوقَ بَعضٍ، شُبِّهَت بالشَّيءِ المتلَبِّدِ بعضُه فوقَ بَعضٍ، وهو مِن: تلَبَّدَ الشَّيءُ على الشَّيءِ: أي تجَمَّعَ، وأصلُ (لبد): يدُلُّ على تكَرُّسِ الشَّيءِ بَعضِه فوقَ بَعضٍ.

يُجِيرَنِي: أي: يَنصُرَني، وَيدفَعَ عنِّي، وأصلُه مِنَ الجِوارِ بمعنى التَّأمينِ.

مُلْتَحَدًا: أي: مَلجأً أمِيلُ إليه، وأصلُ (لحد): يدُلُّ على مَيلٍ.

تفسير الآيات:

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (18).

أي: وأنَّ جميعَ المساجِدِ الَّتي هي بيوتٌ لِعبادةِ اللهِ تعالى: هي له وَحْدَه؛ فلا تُشرِكوا باللهِ فيها أحدًا مِن خَلْقِه، وأفرِدوه وَحْدَه بالسُّؤالِ والعبادةِ.

كما قال تعالى: وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ [الأعراف: 29].

وقال سُبحانَه: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ [التوبة: 18].

وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (19).

أي: وأنَّه لَمَّا قام محمَّدٌ يدعو اللهَ، كاد الجنُّ يَكونون عليه جماعاتٍ يَتراكَمُ بعضُها على بَعضٍ.(92)

---

(92) اختُلف في معنى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ على أقوال:

الأول: عُنِيَ بذلك: الجن؛ أنهم كادوا يركبون رسول الله صلى الله – ﷺ – لَمّا سمعوا القرآن.

الثاني: أنه من قول النَّفَر من الجنّ، لَمّا رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأَوا من طاعة أصحاب رسول الله – ﷺ – له، وائتمامهم به في الركوع والسجود.

الثالث: أنّ ذلك من خبر الله الذي أوحى إلى نبيّه – ﷺ –، لعلمِه أنّ الإنسَ والجنَّ تظاهروا عليه، ليُبْطِلوا الحق الذي جاءهم به، فأبى الله إلا إتمامه.

ووجَّه ابنُ جرير (٢٣/ ٣٤٣) القول الأول بقوله: «ومَن قال هذا القول جعل قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ مما أُوحِيَ إلى النبي، فيكونُ معناه: قل أُوحِيَ إليَّ أنه استمع نَفَرٌ من الجن، وأنه لَمّا قام عبد الله يدعوه».

ووجَّه (٢٣/ ٣٤٤) القول الثاني بقوله: «ومَن قال هذا القول الذي ذكرناه...

قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (20).

أي: قلْ –يا محمَّدُ–: إنَّما أدْعُو ربِّي وَحْدَه، ولا أُشرِكُ به أحدًا مِن خَلْقِه.

قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (21).

أي: قُلْ –يا محمَّدُ–: إنِّي لا أملِكُ لكم ضَرًّا ولا نفعًا، ولا ضَلالةً ولا صوابًا وسَدادًا؛ فإنَّما المرجِعُ في ذلك كُلِّه إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، وإنَّما أنا عبدٌ ليس لي مِنَ الأمرِ شَيءٌ.

يفتَحُ الألف من قوله: ﴿وأَنَّهُ﴾ عطف بها على قوله: ﴿وأَنَّهُ تَعالَى جَدُّ رَبِّنا﴾ [الجن: ٣] مفتوحةً، وجاز له كسْرُها على الابتداء».

ووجَّه (٢٣/ ٣٤٥) القول الثالث بقوله: «ومَن قال هذا القول فتحَ الألف من قوله: ﴿وأَنَّهُ﴾».

ورجَّح ابنُ جرير (٢٣/ ٣٤٥) –مستندًا إلى السياق، ودلالة العقل– القول الثالث، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير من طريق رجل، ومجاهد، وابن زيد، وعلَّل ذلك بقوله: «لأن قوله: ﴿وأَنَّهُ لَمّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ عقيب قوله: ﴿وأَنَّ المَســـاجِدَ لِلَّهِ﴾ وذلك من الله –جلّ وعزَّ– خبرٌ، فكذلك قوله: ﴿وأَنَّهُ لَمّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾.

وأخرى أنه –تعالى ذِكْرُه– أتْبعَ بذلك قوله: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أحَدًا﴾، فمعلومٌ أن الذي يَتْبَع ذلك الخبر عمّا لقيَ المأمورُ بأن لا يدعوَ مع الله أحدًا في ذلك، لا الخبرُ عن كثرة إجابة المدعُوِّين وسرعتهم إلى الإجابة».

وكذا ابنُ كثير (١٤/ ١٥٦) مستندًا إلى السياق، فقال: «وهو الأظهر؛ لقوله بعده: ﴿قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا﴾، أي: قال لهم الرســـول لَمّا آذَوه وخالفوه وكذّبوه وتَظاهروا عليه، ليُبطلوا ما جاء به من الحق، واجتمعوا على عداوته: ﴿إنَّما أدْعُو رَبِّي﴾ أي: إنما أعبد ربي وحده لا شريك له، وأستجير به وأتوكل عليه، ﴿ولا أُشْرِكُ بِهِ أحَدًا﴾».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٣٦) أنه إن «قدّرنا الضمير –في لفظة ﴿كادُوا﴾ – للجن فبتقصفهم عليه لاستماع الذكر.

وهذا تأويل ابن عباس، والضحاك.

وإن قدرناه للكفار فبتمالئهم عليه وإقبالهم على أمره بالتكذيب والرد.

وهذا تأويل الحسن، وقتادة».

ونقل ابنُ عطية (٨/ ٤٣٥) عن قوم أنّ «العبد»: «هو نوح – عليه السلام –، والضمير في ﴿كادُوا﴾ لكفار قومه».

ثم انتقده قائلًا: «ولا يتَّجه أن يكون العبدُ نوحًا – عليه السلام – إلا على تحاملٍ في تأويل نَسَق الآية».

كما قال تعالى: قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأعراف: 188].

وقال سُبحانَه: قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا [الفتح: 11].

قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (22).

قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ.

أي: قُلْ –يا محمَّدُ–: إنِّي لن يُنقِذَني مِن اللهِ أحدٌ إنْ أراد أن يُصيبَني بضُرٍّ.

كما قال تعالى: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ [يونس: 107].

وقال سُبحانَه: قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ [الزمر: 38].

وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا.

أي: ولن أجِدَ مِن دونِ اللهِ مَلجأً أَلجأُ إليه.

إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (23).

إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ.

أي: لن أجِدَ مِن دونِ اللهِ مَلجَأً إلَّا أن أبَلِّغَ عنه ما أُرسِلْتُ به؛ فإنَّ فيه الأمانَ والنَّجاةَ.

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا.

أي: ومَن يعْصِ اللهَ تعالى ورَسولَه في التَّوحيدِ والعبادةِ، فقد استحَقَّ الخُلودَ الأبَديَّ في نارِ جهنَّمَ.

حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (24).

أي: حتَّى إذا رأى الكُفَّارُ ما وعَدَهم اللهُ مِن العذابِ وشاهَدوه عِيانًا، وأيْقَنوا بوُقوعِه؛ فسيَعلَمونَ حِينَها مَنِ الأضعَفُ ناصِرًا ومانِعًا لهم مِن العَذابِ، ومَن الأقَلُّ عددًا: هم أو المؤمِنونَ الموَحِّدونَ للهِ تعالى؟

كما قال تعالى: حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا [مريم: 75].

وقال سُبحانَه: وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ [الشعراء: 227].

وقال عزَّ وجَلَّ: وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [سبأ: 24].

سورةُ الجِنِّ

الآيات (25–28)

قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (25) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ
أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27)
لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (28)

غريب الكلمات:

أَمَدًا: أي: غايةً وبُعدًا، والأمَدُ: مُدَّةٌ لها حَدٌّ مجهولٌ إذا أُطلِقَ.

رَصَدًا: أي: حَرَسًا وحَفَظةً مِنَ الملائكةِ، وأصلُ (رصد): يدُلُّ على تَهيُّؤٍ لرِقْبةِ شَيءٍ.

تفسير الآيات:

قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (25).

أي: قُلْ –يا محمَّدُ– للمُشركِينَ: لا أدري أقَريبٌ الوَقتُ الَّذي وعَدَكم اللهُ بوُقوعِ العَذابِ فيه، أمْ يَجعَلُه ربِّي بعدَ مُدَّةٍ طويلةٍ؟ فذلك غَيبٌ يَعلَمُه اللهُ تعالى ولا أعلَمُه.

كما قال تعالى: وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ [الأنبياء: 109].

عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26).

أي: هو وَحْدَه عالِمُ ما غاب عن خَلْقِه، فلا يُطلِعُ على عِلمِ الغيبِ الَّذي اختَصَّ به أحدًا مِن خَلْقِه.

كما قال الله تبارك وتعالى: قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ [الأنعام: 50].

وقال سُبحانَه: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [الأنعام: 59].

وقال الله عزَّ وجلَّ: وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ [هود: 123].

وقال جلَّ جلالُه: قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ [النمل: 65].

وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: ((مَفاتيحُ الغيبِ خَمْسٌ لا يَعلَمُها إلَّا اللهُ: لا يَعلَمُ ما تَغيضُ الأرحامُ إلَّا اللهُ، ولا يَعلَمُ ما في غدٍ إلَّا اللهُ، ولا يَعلَمُ متى يأتي المطَرُ أحَدٌ إلَّا اللهُ، ولا تَدري نَفْسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ إلَّا اللهُ، ولا يَعلَمُ متى تقومُ السَّاعةُ إلَّا اللهُ)).[93]

إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27).

إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ.

أي: لا يُظهِرُ اللهُ على الغَيبِ أحَدًا إلَّا مَنِ ارتضاه مِن رُسُلِه؛ فإنَّ اللهَ تعالى يُطلِعُه على ما شاء منه.

فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا.

أي: فإنَّ اللهَ يُرسِلُ مِن أمامِ الرَّسولِ الَّذي يُطلِعُه على بَعضِ الغَيبِ ومِن خَلْفِه حَرَسًا مِن الملائكةِ يَحفَظونَه مِنَ الشَّياطينِ، فلا يَستطيعونَ تخليطَ الوَحيِ عليه، أو استِراقَ شَيءٍ منه.

(93) رواه البخاري (7379).

﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (28)﴾.

لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ.

أي: حَفِظَ اللهُ رسُلَه بملائكتِه؛ لِيَعلَمَ –عِلمَ وُجودٍ وظُهورٍ–[94] أنَّ الرُّسُلَ قد تمكَّنوا مِن تبليغِ رسالاتِه كما هي، دونَ أن يُخالِطَها ما يُلبِّسُ عليها أو يُبدِّلُها.[95]

---

(94) اختُلف في الذي عُنِيَ بقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ في هذه الآية على أقوال: الأول: عُنِيَ بذلك: رسول الله – ﷺ –، والمعنى: ليعلم رسول الله – ﷺ – أن قد أبْلَغَتِ الرُّسلُ قَبْلَه عن ربِّها.

الثاني: لِيَعْلَمَ محمدٌ – ﷺ – أنْ قد بلَّغَتِ الملائكة رسالات ربهم.

الثالث: عُنِيَ بذلك: المشركون، والمعنى: لِيَعلَمَ المشركون أنّ الرُّسُل قد بلَّغوا رسالات ربهم.

وعلَّق ابنُ عطية (٨/ ٤٣٨) على القول الثالث بقوله: «وهذا العلم لا يقع إلا في الآخرة».

ورجَّح ابنُ جرير (٢٣/ ٣٥٦) –مستندًا إلى السياق– القول الأول، وهو قول قتادة، وعلَّل ذلك بأنّ «قوله: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ من سبب قوله: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾، وذلك خبرٌ عن الرسول – ﷺ –، فمعلوم بذلك أنّ قوله: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ من سببه إذ كان ذلك خبرًا عنه».

(95) وممَّن ذهب إلى أنَّ ضميرَ لِيَعْلَمَ يعودُ إلى الله تعالى –أي: ليعلَمَ اللهُ أنَّ الرُّسُلَ قد أبلَغوا رسالاتِ رَبِّهم–: ابنُ قُتَيْبةَ، واستظهره ابنُ جُزَي، وذهب إليه البِقاعي، وابنُ عاشور.

يُنظر: المصادر السابقة.

قال الزَّجَّاج: (يجوزُ أن يكونَ: لِيَعلَمَ النَّبيُّ – ﷺ – أنَّ الرِّسالةَ أتَتْه ولم تصِلْ إلى غيرِه، ويجوزُ أن يكونَ –واللهُ أعلَمُ–: ليعلمَ اللهُ أنْ قد أبلَغوا رِسالاتِه، وما بَعْدَه يدُلُّ على هذا، وهو قَولُه تعالى: وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا).

((معاني القرآن وإعرابه)) (238/5).

وممَّن رجَّح أنَّ المعنى: ليعلَمَ الرَّسولُ أنَّ الرُّسُلَ قَبْلَه قد أبلغوا رسالاتِ رَبِّهم: ابنُ جرير، وابنُ أبي زَمَنِين، وهو ظاهرُ اختيارِ القرطبيِّ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (356/23)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (48/5)، ((تفسير القرطبي)) (30/19).

وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ.

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قراءة: لِيُعْلَمَ بضَمِّ الياءِ مبنيًّا للمفعولِ، ونائِبُ الفاعِلِ محذوفٌ يُفهَمُ مِنَ السِّياقِ، والتَّقديرُ: لِيُعلَمَ النَّاسُ -أي: المُرسَلُ إليهم- أنَّ الرُّسُلَ قد أبلغوا رسالاتِ رَبِّهم. وقيل: هي بمعنى القراءةِ الأخرى: أي: ليَعلَمَ اللهُ أنَّ الرُّسُلَ قد أبلغوا رسالاتِ رَبِّهم.

2- قِراءةُ: لِيَعْلَمَ بفتحِ الياءِ، أي: لِيَعلَمَ اللهُ -عِلْمَ ظُهورٍ- أنَّ الرُّسُلَ قد أبلغوا رسالاتِ رَبِّهم. وقيل: لِيَعلَمَ الرَّسولُ أنَّ الرُّسُلَ قَبْلَه قد أبلغوا رسالاتِ ربِّهم. وقيل: لِيَعلَمَ الرَّسولُ أنَّ الملائكةَ قد أبلَغوا رِسالاتِ ربِّهم. وقيل غيرُ ذلك.

وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ.

أي: وقد أحاط عِلْمُ اللهِ تعالى بكلِّ ما عندَ الرُّسُلِ.

وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا.

أي: وعَلِمَ اللهُ سُبحانَه عددَ كُلِّ شيءٍ مِن خَلْقِه، فلا يَخفى عليه شَيءٌ مِن ذلك.

تمَّ بحمدِ الله تعالى المجلَّدُ الأربعونَ

ويَليه المجلَّدُ الحادي والأربعونَ، وأوَّله: تفسير سُورة المُزَّمِّلِ

الفهرس

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

نسخة
إلكترونية

المغني في التفسير

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا